

لإمامنا الفقيد حضرة ميرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

الشركة الإسلامية المحدودة

دعوة الأحمدية وغرضها

لإمامنا الفقيد

حضرة ميرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

الشركة الإسلامية المحدودة

اسم الكتاب: دعوة الأحمدية وغرضها
الطبعة السادسة عام ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م

Da’wa -tul - Ahmadiyyah wa gharadoha
(The message of Ahmadiyyah and its Purposes)

Arabic Translation

By: Hadrat Mirza Bashir -ud- Din Mahmud Ahmad,
(may Allah be pleased with him) **Khalifatul Masih II**.

First published in Arabic in Damascus, syria

Reprinted in Pakistan

Third edition (1st in UK)1985 (Al- Shirkatul Islamiyyah)

Fourth edition (2nd in UK)1990

Fifth edition (3rd in UK)1994

Sixth edition (4th t in UK)1999

Published by:

Al- Shirkatul Islamiyyah
Islamabad
Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Islamabad

ISBN: 1 85372 354 1

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

ما هي دعوة الأحمدية وغرضها؟ ولقد أجيبَ على هذا السؤال في الصفحات التالية جوابًا مستندا جازما بقلم حضرة إمامنا الفقيد ميرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ الخليفة الثاني لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ. إن هذا الجواب هو موضوع المحاضرة التي أعدها حضرته على طلب فرع الجماعة الإسلامية الأحمدية بسيالكوت، ولقد قرئت في اجتماعها السنوي المعقود في ٣٠ أكتوبر ١٩٤٨. وقد سبق نشر هذه المحاضرة بالأردية التي كُتبتْ بها أولاً، ثم بالإنكليزية، كما نشرت طبعتها العربية الأولى بدمشق، والآن ننشر طبعتها العربية الثانية نظرًا لتوسيع نطاق القراء.

وهذه المحاضرة تبدد كثيراً من الشبهات وسوء التفاهم عن الجماعة الإسلامية الأحمدية، لكن فكرتها الأساسية هي الرد على سؤال هام، وهو: لماذا أقدمت الأحمدية على تشكيل جماعة منفصلة، بينما هي تعتقد وتعمل طبق تعاليم القرآن الكريم

وأسوة النبي ﷺ، كما أن حماسها للتبشير ونشاطها وتضحياتها في سبيل هذا التبشير، كل أولئك موقوف على النهوض بالإسلام والدعاية لأجله؟

والجواب على هذا السؤال الهام هو: أن المسلمين الأحمديين بهذا الطريق وحده استطاعوا إيجاد أسس الاتحاد بين الشعوب الإسلامية في العالم أجمع، كما أمكنهم بذلك تشكيل جماعة من العاملين المخلصين لا بد من وجودها اليوم للمحافظة على الكيان الديني للمسلمين في جميع أقطار الأرض، ولأجل انتصار الإسلام الروحي على العالم المعاصر.

الناشر

فهرس

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلّى على رسوله الكريم
بفضل الله ورحمته
هو الناصر

دعوة الأحمدية

وِجهة الخطاب

ما هي الأحمدية ولأي غرض قامت؟ هذا سؤال يخطر ببال الكثيرين ممن يعرفوننا وممن يجهلوننا، فالذين يعرفوننا قد يكون نظرهم أعمق في مطالعتهم، وأما الذين يجهلوننا فإن أسئلتهم تكون سطحية ويختلقون من عند أنفسهم، لعدم العلم، كثيرًا من الأقاويل الواهية ويصدِّقون أحياناً بما يسمعون من الناس.

فهؤلاء الذين أعوزهم العلم الصحيح فوقعوا في أنواع من سوء الفهم أبدَؤهم بالخطاب، وأقول لمن يظن منهم أن الأحمديين لا يعترفون بكلمة الشهادة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن الأحمدية هي دين جديد، إنهم إنما يظنون بنا هذا الظن

إما بتضليل من بعض الناس أو لأنهم يخَيَّل إليهم أن الأحمدية هي دين له كلمةُ شهادة كما أن لكل دين كلمةَ شهادة يعترف بها معتقِده ويدين بها، فكأن للأحمدية كلمة شهادة خاصة بها كسائر الأديان.

عقيدة الأحمدية في كلمة شهادة الإسلام

ولكن الأمر ليس كما يظنون إذ إن الأحمدية ليست في حقيقة الأمر بدين جديد، كما لا يلزم لكل دين أن تكون له كلمة شهادة خاصة به، بل إن كلمة الشهادة مخصوصة بالإسلام وحده دون سائر الأديان. فالإسلام كما يمتاز عن الأديان بنبيه ﷺ يمتاز عنها بكلمة الشهادة أيضاً.

عقيدة الأحمدية في القرآن المجيد

إن لأهل الأديان كتباً ولكن لم يعط أحد منهم كلامَ الله إلا المسلمون وحدهم، وذلك لأن لفظ "الكتاب" عبارة عن مجموعة مقالات وفرائض وأحكام ولا يُفهَم منه أن ما يتضمنه من كلمات وألفاظ كله من عند الله تعالى. ولكن كتاب الإسلام إنما سمي "كلام الله" بمعنى أن جميع كلماته وحي أُوحيَ به من

الله تعالى بألفاظه وحروفه كما وأن بيانه كله وحي منه تعالى. نعم إن كتاب موسى ؑ كان يحتوي على نفس البيان الذي أوحاه الله تعالى إليه وإن التعليم الذي كان المسيح ؑ يدعو الناس إليه هو نفس التعليم الذي لقّنه الله تعالى إياه، ولكن لم يكن تعليمه ذاك بنفس الكلمات التي ألقاها الله إليه. إن من يقرأ التوراة والإنجيل والقرآن بهذه النظرة لَحَكَمَ بعد تصفحها قليلا بأن التوراة والإنجيل ليس بيانهما مُثْبَتاً في ألفاظ الوحي على رغم كونهما من عند الله، وكذلك لَحَكَمَ في الوقت نفسه أن القرآن المجيد في كلماته ومعانيه وبيانه كله تنزيل منه سبحانه وتعالى. وبعبارة أخرى يجدر بنا أن نقول إن الباحث المحقق الذي لا يؤمن بالقرآن ولا بالتوراة والإنجيل إذا أمعن النظر في هذه الكتب الثلاثة اضطر إلى الإقرار بأن المبشرين بالتوراة والإنجيل رغم اعترافهم بتنزيل الكتابين لا يدّعون قطعاً أن ألفاظهما وحي من الله، كما وأنه يضطر لأن يعترف بعد مطالعة القرآن المجيد بأن المبشِّر به لا يدعي أنه تنزيل بمعناه فحسب بل يدعي فوق ذلك أنه تنزيل بألفاظه وكلماته أيضاً. فمن أجل ذلك سمِّي القرآن "كلام الله" كما سمِّي أيضاً "كتاب الله" خلافاً للتوراة

والإنجيل إذ إنهما لم يسمَّيا كلام الله، ولا ذكرهما القرآن المجيد بهذه التسمية.

فالمسلم يمتاز عن غيره من أهل الأديان بأن له كتاباً هو كلام الله بعينه لفظاً ومعنًى، وأمّا ما في أيدي الآخرين فهو كتب ولكنها ليست بكلام الله سبحانه وتعالى.

عقيدة الأحمدية في خاتم النبيين

إن جميع الأديان كان ابتداؤها بوجود الأنبياء، ولكن لا يوجد دين جاء بنبي مثل محمد ﷺ، فقد كان ﷺ شارحاً للأحكام الدينية كلها شرحاً يبين حكمتها وفلسفتها، وكان الأسوة الحسنة والقدوة الكاملة لبني نوعه. ها هي المسيحية وهي بالنسبة إلى الأديان القديمة أقرب عهداً، فإنها لا تَدَع مجالا للاقتداء بالمسيح إذ تزعم أنه ابن الله! وأنّى للبشر أن يقفو أثره ويتمثل بألوهيته؟ إذ لا يمكن لبشر أن يكون مثل الله. وإن التوراة والإنجيل لم يفرضا على موسى وعيسى عليهما السلام المسؤولية في بيان حكمة الأوامر والنواهي وتعليل مشروعيتهما، وأما القرآن المجيد فقد ذكر عن رسوله الكريم بقوله ﴿يعلّمهم الكتاب والحكمة﴾ وجَعَلَه الشارحَ لأحكام الله يبين حكمتها ويوضح

عللها. لذلك فالإسلام يمتاز عن غيره بكون رسوله ﷺ أسوة حسنة للعالم كله، ولا يُكره أحداً على قبول أحكامه من غير برهان، ولا يأمر بأمر أو ينهى عن شيء إلا ويبين معه فوائده للأمة والأفراد وكافة البشر، تقويةً لإيمانهم وترغيبا لهم في العمل به. فالإسلام يمتاز عن سائر الأديان بشريعته وتعليمه الجامع الشامل وما هو إلا دعوة الأمن والسلام والرقي والسعادة لكل صغير وكبير وغني وفقير، ومرأة ورجل، وشرقي وغربي، وضعيف وقوي، وحاكم ومحكوم، ومالك ومملوك، وللزوجين والأبوين والأولاد، والبائع والشاري، والجار وابن السبيل. لا يحرم قومًا من الأقوام من خطابه بل هو الهداية لشعوب العالم المتقدمة والمتأخرة كلها. وكما أن علام الغيوب سبحانه يقع بصره على الأحجار الهاوية في أسفل الوديان كما يقع على النجوم المتلألئة في السماء، فهكذا جَعَلَ تعاليم الإسلام تشمل أضعفَ وأفقرَ طبقةٍ من الطبقات البشرية كما تشمل أغناها وأقواها وتُسعفهم وتقوم بحاجاتهم.

فضيلة الإسلام في نظر الأحمديين

ليس الإسلام مجردَ صورة منقولة عن الأديان السالفة بل إنه فوق ذلك آخر حلقة من حلقات سلسلة الديانات، وهو السراج المضيء للنظام الروحاني، ولا يصح أن يقاس في أمر من الأمور على غيره من الأديان. ولا غروَ أن الديانات تشترك في تسمية "الدين" مثلما يشترك الفحم والماس في مادة الكربون. ولكن الماس هو غير الفحم، وكما يطلق أيضاً اسم الحجر على المرمر وعلى الحصى كليهما ولكن المرمر غير الحصى..كذلك القياس بأن الإسلام دين وأن له كلمة الشهادة، فلا بُدَّ أن تكون لبقية الأديان شهادةٌ أيضا كمثل شهادة الإسلام، أقول إن هذا القياس ما هو إلا خطأ نشأ عن قلة المعرفة وعن عدم التدبر في القرآن المجيد. وقد اعتسف بعض الناس في ذلك وأفرطوا حتى أوجدوا لنا كلمات مثل: لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله، لا إله إلا الله موسى كليم الله، ولا إله إلا الله عيسى روح الله. وقالوا إنها كلمات الشهادة للأديان السالفة، بينما نحن لا نجد في التوراة والإنجيل والصحف المسيحية ذكراً أو أي أثر لكلمات الشهادة كهذه.كم أحدث المسلمون من بدعات وكم أفسدوا عقائدهم؟ ومع ذلك هل نسُوا كلمة شهادتهم يوماً؟ كلا! لم

ينسوها. فكيف يمكن القول إذاً إن اليهود والنصارى كانت لهم كلمة الشهادة لكنهم نسُوها؟ وإذا كانوا هم الناسين لكلمتهم والماحين لذكرها من بينهم فكيف أمكن للمسلمين الاهتداء إليها، وممن تلقوها بعد أن ضاعت من كتب القوم؟

فالأمر الحق أنه لم يكن لنبي من الأنبياء كلمة الشهادة إلا لرسولنا العربي محمد ﷺ، فإنه وحده خُصّ بكلمة الشهادة و لم يُعطَها غيره. وتلك إحدى الميزات التي امتاز بها ﷺ على سائر الأنبياء.

والسبب في ذلك أن كلمة الإسلام تشمل مع الإقرار بالتوحيد الإقرارَ بالرسالة. وبما أن الإقرار بالتوحيد هو الحقيقة الكاملة الثابتة الأصل من الحقائق الأبدية لن تزال ولن تزول وأن الأنبياء الأولين لم تكن نبوتهم دائمة، وكان من المقدر أن تنتهي رسالتهم يوماً من الأيام لذلك لم يشأ الله أن يقرن اسمهم باسمه الأبدي، وأما محمد ﷺ فقد ذُكرتْ رسالته مقرونةً بكلمة التوحيد، لأن نبوته كانت ممتدة إلى يوم القيامة وكان مقدراً أن لا ينتهي زمنها أبداً. وقد جمع الله بين شهادة رسالته وشهادة توحيده ليؤذن الناسَ أن محمداً ﷺ دائمٌ أمرُه ومطرد على وجه

البسيطة غيرُ زائل كدوام شهادة "لا إله إلا الله" الأبدية غير الزائلة.

والعجب أن اليهود لا يقولون إنه كانت لموسى عليه السلام شهادة، والنصارى لا يقولون إنه كانت لعيسى عليه السلام شهادة، والصابئ لا يقول إن إبراهيم عليه السلام كانت له شهادة، ولكن يقول بذلك المسلم، وهو الذي كانت كلمة الشهادة خاصة بنبيه ﷺ، وهو الذي خُصّ وتفرد بكلمة الشهادة نبيُّه وبها فضله الله تعالى على شعوب العالم قاطبة. فالعجب كل العجب أن هذا المسلم يوزع فضيلته هذه بسخاء بين الأنبياء ويصطنع لهم كلمات الشهادة من عند نفسه ويقول هذه شهادة اليهود وهذه شهادة إبراهيم وتلك شهادة النصارى، بينما هذه الأمم نفسها لا تدعي لأنبيائها أية كلمة شهادة.

خلاصة العقيدة الأحمدية

وخلاصة القول إنه ليس ضروريا أن تكون لكل دين كلمة شهادة، ولو كان ذلك ضرورياً - على سبيل الافتراض - فالأحمدية ليس لها كلمة شهادة لأنها ليست بدين جديد وما هي إلا الإسلام المحض. إن الأحمدية لتؤمن بنفس الشهادة التي

نادى بها رسول الله ﷺ العالَمَ وهي: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ويؤمن الأحمديون أن لهذا العالم المادي خالقاً واحداً لا شريك له، قادراً لا حد لقدرته، وهو رب، رحمن، وهو مالك يوم الدين. وهو متصف بجميع الصفات التي وَصَفَ نفسه بها في كتابه الكريم، وهو منزّه عن كل ما نزّهه عنه القرآنُ الكريم. ويؤمن الأحمديون أن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي المكي ﷺ أُنزلَ عليه آخر الشرائع وبُعث للعجمي والعربي والبيض والسود ولكافة الأمم وبني نوع الإنسان، وأن نبوته يمتد زمنها من يوم دعوته إلى نهاية العالم وباقيةٌ كما هي ما دام على وجه الأرض حي يتنفس. وكذلك يعتقدون أن تعليمه واجب العمل به على كل إنسان، وما من امرئ قامت عليه الحجة ولم يؤمن به إلا استوجب عقابَ الله على كفره، وأن كل إنسان بلغه اسمُه ﷺ وتبين له صدقُه فهو مكلّف لا محالة بالإيمان ولن يستحق النجاة مطلقاً بغير الإيمان به، ولا تحصل له التقوى والتزكية حقاً إلا بعد اتباعه واقتفاء أثره ﷺ.

إزالة بعض الشبهات ضد الأحمدية

عقيدة الأحمدية في "ختم النبوة"

يظن بعض الجهلاء أن الأحمديين لا يقرون بختم النبوة ولا يؤمنون بأن رسول الله ﷺ هو خاتَمُ النبيين. إن هذا الظن ما هو إلا انخداع ونتيجة الجهل المطلق. إن الأحمديين إذا كانوا ينتمون إلى الإسلام ويوقنون بكلمة الشهادة فكيف يستطيعون إنكار ختم النبوة وعدم الإيمان بخاتم النبيين وقد قال الله في كتابه المجيد: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتَمَ النبيين﴾ (الأحزاب: ٤٠) إن المؤمن بالقرآن الكريم كيف يمكنه إنكار هذه الآية الصريحة القائلة بختم النبوة؟ كلا! لا يعتقد الأحمديون قطعاً أن رسول الله ﷺ لم يكن خاتَم النبيين. ونعوذ بالله من هذا. وإنما يقول الأحمدي: إن معنى خاتم النبيين المتعارَف اليوم بين المسلمين لا يتفق مع منطوق الآية الكريمة البتة، ولا هو بالمعنى الذي يظهر منه علوٌّ مرتبته ﷺ وسمو شأنه المقصود في تلك الآية. وإن الجماعة الأحمدية تفسر الآيةَ

المذكورة بالمعنى المتداولِ في لغة العرب المؤيَّدِ بتصديق من عائشة وعلي وغيرهما من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

وهو التفسير الصائب الذي يزيد رسول الله ﷺ عظمة وجلالا للغاية التي ليس فوقها من غاية، وبه - لا بغيره - تتحقق فضيلته ﷺ على سائر بني الإنسان. فالأحمديون غير منكرين لختم النبوة وإنما ينكرون المعنى الشائع خطأ بين المسلمين اليوم. وإنه لمن الكفر الصريح الجحودُ بختم النبوة. وإن الأحمديين بفضل الله تعالى لَمسلمون ويرون أن اتّباع الإسلام لا غير هو الذريعة الوحيدة للنجاة.

الأحمدية تعتقد بالقرآن كله

ومِن هؤلاء الناس الذين يجهلوننا مَن يظن أن الأحمدي لا يؤمن بالقرآن كله بل يؤمن ببعض أجزائه. فقد زارني منذ عهد قريب في مدينة "كويته" (من أعمال باكستان) بعض الناس وحدثوني أن علماءهم أخبروهم بأن الأحمديين لا يؤمنون بجميع القرآن.

إن هذا أيضاً لبهتان ألصقه بالأحمدية خصومها. إن الأحمدية تعتقد بأن القرآن الكريم كتاب لن يتبدل ولن يُنسَخ وأنه بجميع

ألفاظه وحروفه من حرف الباء في "بسم الله" إلى حرف السين في "والناس" منـــزَّل من الله تعالى، ويسهل العمل به.

عقيدة الأحمدية بالملائكة

وكذلك منهم من يتهم الأحمديين بأنهم لا يعتقدون بالملائكة ولا بالشيطان. وهذه التهمة أيضاً هي محض افتراء لأن الملائكة قد ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وورد فيه ذكر الشيطان أيضاً، فكيف يمكن للأحمدية أن تنكر وجودهما ما دامت تدعي بالإيمان بالقرآن. إننا نؤمن بالملائكة حق الإيمان بفضل الله تعالى، بل وفضلًا عن الإيمان بهم نؤقن أنه يمكن التعلقُ والاتصال بهم والاستفادة منهم في العلوم الروحانية ببركة القرآن الكريم. ولقد تلقيتُ بنفسي بعضَ المعارف من الملائكة ولقَّنني ذات يوم مَلَكٌ من الملائكة تفسير سورة الفاتحة، ومنذ تلك الساعة إلى الآن فُتح علي ما لا يحصى من معاني هذه السورة. وإني وأيمِ الحق ليمكنني أن أستنبط من سورة الفاتحة وحدها أيَّ موضوع من المواضيع الروحانية ما لا يستطيع أيُّ شخص من أي دين أو مذهب استخراجَه في الموضوع نفسه من كتابه كله. ولقد تحدّيت العلماءَ ودعوتُهم إلى مثل هذه المناظرة منذ زمن بعيد

ولكن لم يجب أحد دعوتي هذه بالقبول إلى هذا اليوم. إن وجود الله تعالى وتوحيده ومسألة النبوة وضرورتها، وعلاماتِ الشريعة الكاملة ولزومَها لبني نوع الإنسان ومسائلَ الدعاء والقدر والحشر والنشر والجنة والنار، إن كل هذه المواضيع تستضاء ظلمتها وتُكشَف غُمَّتُها بفضل الاستفادة من سورة الفاتحة بصورة تتضاءل أمامها ألوفُ الصفحات من الكتب الأخرى. فالأحمدي يدعي حتى بالاستفادة من الملائكة فضلًا عن الإيمان بهم.

الشيطان في نظر الأحمدية

وأما اتهامهم بأننا لا نعتقد بالشيطان فاتهام سخيف جداً لأن الشيطان نجس لا يؤمَن به وإنما نعلم بوجود مما جاء ذكره في القرآن الكريم، ونقول إنه موجود، ولا نكتفي بهذا القول فقط بل نعتقد أن الله تعالى قد فرض علينا أن نكسر شوكة الشيطان ونمحو سلطانه. وقد رأيت في المنام الشيطان أيضاً وصارعته ذات مرة فصَرَعْتُه ببركة كلمات التعوذ. وقد أنبأني الله مرة بأن الأمر الذي سأُنتدب إليه سوف يقيم الشيطان وذريته الكثير من العراقيل في سبيله، فعلي أن لا آبَهَ له ولا ألتفت لعراقيله تلك

مطلقاً، وأن أمشي قدماً قائلا: "**خدا کے فضل اَور رحم کے ساتھ**" (أي بفضل الله ورحمته). فانطلقت أمشي صوبَ الجهة التي أمرني الله تعالى أن أمشي إليها، وإذا بالشيطان وذريته أخذوا يهددونني ويخوفونني بأنواع من التهديدات. فقد تعرضتْ لي في بعض الأماكن رؤوس من ورائها رؤوس تحاول إرهابي وتخويفي، وفي أماكن أخرى تصدَّتْ لي جثثٌ بلا رؤوس، وتمثل الشيطانُ مرة بشكل الأسود واللَبَوَات والفيلة، فلم ألتفتْ إليها ومشيتُ قُدماً كما أمرني الله تعالى لا أتوقف وأنا أقول: بفضل الله ورحمته. وكلما رددت هذه الكلمات كان الشيطان وذريته يلجؤون إلى الفرار ويخلو الميدان منهم. ثم لا ألبث إلا قليلا وإذا بالشيطان يعود إليّ بشكل جديد، ولكن بالحربة نفسها – أي التعوذ – كنت أنجح في تشريده كل مرة إلى أن وصلت المترل المقصود وفَرَّ الشيطان تاركًا لي الميدان كله. وبناء على تلك الرؤيا لم أزل أكتب دائما فوق عنوان أهم تصنيفاتي: "**خدا کے فضل اَور رحم کے ساتھ**".

وقصارى القول إنا لنؤمن بالملائكة ونقر بوجود الشيطان أيضاً.

الأحمدية تعتقد بالمعجزات

ويقول بعض الناس إن الأحمديين ينكرون المعجزاتِ. وإن هذا القول أيضاً ينافي الواقع، بل وفضلا عن الاعتقاد بمعجزات محمد ﷺ فإننا نعتقد بأن أتباعه المخلصين كذلك يشرفهم الله تعالى بالمعجزات. إن القرآن المجيد لطافح بذكر معجزاته ﷺ ولا ينكرها إلا الأكمه المعتوه الذي عميت بصيرته وطُمس عقله إلى الأبد.

عقيدة العقاب والثواب عند الأحمديين

ويرى بعضهم خطأ أن جميع الناس في نظر الأحمدية هم أصحاب الجحيم إلا الأحمديين. وإن هذا الخطأ ما هو إلا نتيجة الجهل منهم أو هو ناجمٌ عن العداوة. كلا! إننا لا نعتقد بأن جميع الناس ما عدا الأحمديين هم من أهل النار، بل يمكن عندنا أن يدخل في جهنم أحمدي كما يمكن أن يدخل الجنة من ليس بأحمدي، وذلك لأن الجنة لا يستوجبها الإقرارُ الشفوي فقط،

وإنما هي نتيجة القيام بكثير من الحقوق والواجبات. كما وإن جهنم أيضاً ليست نتيجة الكفر الشفوي فقط بل هناك حالات تستوجب عقابها. إن جهنم لن يدخلها أحد مطلقاً ما لم تقم عليه الحجةُ حتى وإن كان ممن يكفر بأصدق المعتقدات. يقول الرسول الكريم ﷺ نفسه بأن المتوفى في صغره وأن سكان الجبال الشامخات وقطان الغابات الذين لم تبلغهم رسالته، وأن الخَرِفَ المجنونَ الذي لا عقل له، كل هؤلاء لا يؤاخذون على أفعالهم بل يبعث لهم يوم القيامة رسول لكي تتاح لهم الفرص للتمييز بين الحق والباطل، فمن حق عليه القول دخل في جهنم ومن أسلم واهتدى دخل الجنة. فباطل إذاً ما قيل مِن أننا نعتقد بأن كل من لم يعتنق الأحمدية يكون من أصحاب النار.

مسألة النجاة في عقيدة الأحمدية

إن عقيدتنا في النجاة هي أن كل إنسان يكون تحت مؤاخذة الله إذا كان ممن توانى وأعرض عن تفحص الحق وفهمه وتعمد أن لا تقع كلمة الحق في أذنه خوف القبول، أو إذا كان ممن تمت عليه الحجة و لم يؤمن. وقد يعفو الله عن هؤلاء إن شاء إذ ليس بأيدينا تقسيم رحمته، وما العبد بمانع ربه من الجود

والعطاء. إن الله سبحانه وتعالى هو ربنا وخالقنا وهو مليكنا ومالكنا، وإذا اقتضى علمه وحكمته ورحمته العفوَ عمن يبدو في بادئ الأمر غير مغفور له، فمن نحن حتى نمسك يده سبحانه وتعالى؟ ومن نحن حتى نحول دون مغفرته ﷻ؟

إن الأحمدية هي في مسألة النجاة واسعة النظر بحيث أفتى بعض المشائخ بتكفير الأحمديين بسببها، وذلك لأننا نعتقد بعدم دوام العذاب، فلا يعذب مؤمن ولا كافر للدوام. يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ورحمتي وسعتْ كلَّ شيء﴾ (الأعراف: ١٥٧)، ويقول سبحانه: ﴿فأُمُّه هاوية﴾ (القارعة: ١٠)، أي أن بين الجحيم والكافر ما بين الأم والطفل من رابطة التربية، ويقول سبحانه: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ﴾ (الذاريات: ٥٧). فبعد هذه الآيات وأمثالها الكثيرة كيف نقبل أن أصحاب النار لن تغشاهم رحمة الله يوماً ولن تُخرجهم من عذاب جهنم؟ وهل مما يتصور ويعقل أن يدع الله عباده الذين خلقهم لعبادته باقين عبيداً للشيطان دائماً أبداً دون أن يصيروا من عباده سبحانه وتعالى.

موقف الأحمدية من التقليد وعدمه

ثم إن من هؤلاء المبتلين بالأوهام من يظن بنا أننا لا نعتقد بالأحاديث ولا بالأئمة والفقهاء. وإن كلا الوهمين لباطل.

إن الأحمدية تسلك في مسألة التقليد وعدمه مسلكاً وسطاً. ومن تعاليمها أن ما تحقق وثبت من أحاديث محمد رسول الله ﷺ وجب الأخذُ به وأن السماع لصوت غيره عندئذ إهانة لحضرته. كلا، لا يُسمع لصوت العبد ما دام السيد موجوداً ولا يلقَّى الدرس على التلميذ بحضور الأستاذ. ومهما عظم الأئمة والفقهاء في علمهم ومعرفتهم فهم على كل حال تلاميذ محمد ﷺ وخدامه، وعزهم إنما تكون في طاعة الرسول، وكل عظمتهم إنما في كونهم خدامًا له، فإذا ثبت شيء من قوله ﷺ - وعلامة الثبوت أن ما ينسب إليه يوافق القرآنَ الكريم - يكون قوله هو القول الفصل والحكم الأخير ولا مندوحة من قبوله والتسليم به، ولا يحق لأحد رفضُه أو أن ينبس خلافه ببنت شفة. إن رواة الحديث بشر مثلنا منهم الصالح والطالح ومنهم قوي الذاكرة وضعيفها والذكي والبليد. فما خالف منطوقَ القرآن من رواياتهم فلا يسلَّم به لمعارضته لكتاب الله الذي هو

القول الحق والحكمُ الفَصْلُ لا نحيد عنه ولا ننحاز إلى غيره، إذ ليس كلٌّ رواية قطعيةَ الأسناد في صحة القول، وإن من مسلمات الأئمة المحدثين أنفسهم أن الأحاديث منها الصحيح المسند ومنها غير المسند ومنها المظنون والمشكوك والموضوع. فما دام هذا حال الروايات فما شأنها إزاء القرآن المجيد، ولا سيما إذا خالفته وعارضته؟

بيد أن أئمة الفقهاء هم أولى الناس بالاجتهاد، فإنهم قضوا أعمارهم في التدبر في القرآن الحكيم وتفحُّص الأحاديث النبوية، وخليق بهم أن يكدحوا أذهانهم ويجتهدوا حيث لا يُوجد نص صريح من كتاب الله ولا حديث مسند يوصلنا إلى القطع واليقين، أو إذا وُجد كان محتملا في ألفاظه لتأويلات شتى، وحينئذ يجب أن نرجع إلى اجتهاد المجتهدين من أئمة الفقهاء. ولا يحق ذلك للعامي الذي لم يتدبر القرآن قط ولا الحديث ولا هو ممن أوتي من العلم والتفقه حظًّا يمكّنه من إمعان النظر، كلا - لا يحق لهذا العامي أن يتبجح ويقول: ما شأن الإمام أبي حنيفة أو الإمام الشافعي أو الإمام مالك أو غيرهم من الأئمة الكرام رضي الله عنهم، ما شأنهم حتى يرجَّح قولهم على قوله وأي حق لهم في هذا الاختصاص والترجيح؟ إنه مسلم كما هم

مسلمون فلا فرق بينهم ولا فضل لأحد منهم على غيره! إن مثل هذا القول هو من السخافة بمكان وذلك لأن الطبيب هو الذي يرجَّح رأيه في التشخيص ولا رأيَ في ذلك للعامي مطلقاً. وكذا يرجَّح رأي المحامي على غيره، فلماذا إذاً لا يرجَّح في الأمور الدينية رأيُ الأئمة الذين قضوا أعمارهم في تدبر القرآن المجيد والأحاديث الشريفة، وكانوا أعلى وأرقى من ألوف الناس في قواهم الذهنية، وشهد الله لهم بتقواهم وطهارتهم بأنْ عامَلَهم بالحسنى وخَصَّهم برعايته؟

ألا إن الأحمدية لا هي بالتي تشايع أهل الحديث في كل شيء ولا هي بالمؤيدة للمقلِّدين في جميع أقوالهم على عواهنها، وإنما هي في عقائدها على أقومِ طريقٍ وأبسطِه، أي على مسلك الإمام أبي حنيفة – رحمه الله – وعلى مذهبه تماماً، وذلك أن القرآن الكريم مقدَّم عندنا على كل شيء آخر. ثم تأتي الأحاديث الصحيحة في الدرجة الثانية، ثم استدلال واجتهاد العالم الماهر بفنه. وبناء على هذه العقيدة ذاتها يسمي الأحمديون أنفسهم أحنافاً بمعنى أننا نصدق المبدأ الأساسي الذي وضعه الإمام أبو حنيفة رحمه الله تبياناً لمذهبه. وكذلك يسمون أنفسهم أهل الحديث أيضاً وذلك لأننا نرى أن قول الرسول الكريم ﷺ

إذا ثبت وكان واضحاً فإنه يفوق أقوالَ بني آدم كلهم حتى وأقول الأئمة بأجمعها.

عقيدة الأحمدية في القدر خيره وشره

ومن الظنون الخاطئة التي يظنها بنا العوام من الناس أننا لا نؤمن بالقدر. كلا، لسنا ممن ينكر التقدير بل نؤمن به ونقول إن قدر الله تعالى- خيره وشره - نافذ في الدنيا وجارٍ مستمرٌ إلى يوم القيامة ولا مبدِّلَ لقدره سبحانه، ولكننا نخالف في أن يُنسَب إلى مشيئة الله تعالى سرقةُ السارق ومعصيةُ تارك الصلاة وكذبةُ الكاذب وخدعة الخادع وقتل القاتل وفجور الفاجر، وأن تحال موبقاتُهم هذه إلى القضاء والقدر، وأن يلطَّخ - والعياذ بالله - سوادُ وجوههم بوجهه تعالى بهذه الحيلة الشائنة. إن التقدير والتدبير عندنا هما نهران أجراهما الله معاً في هذه الدنيا، وبينهما - كما يقول الله تعالى - برزخ لا يبغيان، وحدٌّ فاصل ينفصلان به لا يتصادمان أبداً. فالتدبير دائرتُه مستقلة، وكذلك التقدير مثله، وكل منهما يعمل في دائرته الخاصة، فما لزم فيه التقدير بمشيئة الله لم يكن بإمكان التدبير أن ينجح فيه، وما كان سبيله إلى التدبير فالاتكال فيه على التقدير هلاك لا

محالة. فالأمر الذي نخالف فيه عامة المسلمين هو أن يحاول الإنسان إخفاء سيئاته بالاستتار وراء التقدير ويستنبط من لفظ القدر جوازَ غفلته وكسله، ويتكأ على القدر في المحل الذي أمر الله بأن يتوسل فيه بالتدبير. ألا إن عاقبة ذلك وخيمة لا محالة. لقد تقاعس المسلمون عن الجد في السعي والكد اللازم لرقي الأمة ونهضتها وظلوا ناظرين إلى قدر الله فإذا بهم خسروا دنياهم كما خسروا دينهم. فلو أنهم أبصروا وجعلوا نصب أعينهم التدبيرَ عوض التقدير في الأمور التي فتح الله فيها سبلَ العمل، لما انحطَّتْ بهم الحال هذا الانحطاطَ، ولا اضمحلَّ شأنُهم هذا الاضمحلالَ الذي هم فيه الآن.

عقيدة الأحمدية في مسألة الجهاد

ومن الظنون الخاطئة الزعم بأن الأحمدية تُنكر الجهاد. إن هذا غير صحيح، بل نعتقد أن هناك قسمين من الحروب، قسماً ديني الصبغة وهو الجهاد، وآخر وهو ما لا صبغة دينية له من الحروب. فالجهاد هو الحرب التي يذاد بها عن حياض الدين ويقاتَل فيها العدو الذي يريد أن يمحو الدين بحد السيف ويغيّر العقائد بقوة الحراب. فإذا ظهر في الأرض مثل هذا الظلم

والعدوان وخاف الناس على دينهم، وجب الجهاد حينئذ على كل مسلم. غير أن لمثل هذا الجهاد شرطاً تجب مراعاتُه وهو أن يكون إعلانه من قِبل الإمام ليعلم المسلمون من يشترك منهم في دعوة الجهاد ومن ينتظر نوبته. فإذا اقتضت الحالة القيامَ بالجهاد مع وفاء هذا الشرط فإن كل من لم يشهد الغزو يعد متقاعساً عن الجهاد وعاصياً يعاقَب على تقاعسه ومعصيته. وأما إذا كان الإمام موجوداً وكانت الدعوة منه فلا يكون من المسلمين أحد عاصياً إلا المتخلفون عن تلبية الدعوة. لقد كان الأحمديون فيما مضى يرون أن لا ضرورة للجهاد ضد الإنكليز لأنهم لم يتصرفوا يوماً في ديننا ولم يتدخلوا في عقائدنا قط. فإن كان الأحمديون مخطئين في رأيهم وكان الإنكليز حقيقةً يتصرفون في شؤون الدين ويتدخلون فيه قسراً فالجهاد عندئذ كان واجباً لا محالة. وهنا نسأل علماء المسلمين هل شهروا السيف بعد وجوب الجهاد – في رأيهم – وقاتلوا الإنكليز؟ فإن هم لم يفعلوا ما كان فرضاً عليهم فماذا يكون جوابهم عند الله؟ أما الأحمديون فجوابهم أن الجهاد في رأيهم لم يكن واجباً وقتئذ، وإنا إذا كنا مخطئين فليس خطأنا إلا في الاجتهاد، وأما العلماء الذين لا يرون رأينا فهل يليق بهم أن يقولوا: اللهم، نعم إن الوقت كان

وقت الجهاد بلا ريب وكنا موقنين به ونعلم حق العلم أنه أصبح فرضاً، غير أننا تقاعسنا وهلعت أفئدتنا و لم نحرض كذلك على القتال المسلمين الشجعان الرابطي الجأش إذ خفنا أن يبطش بنا الإنكليز! فأي الجوابين يا ترى يكون أحرى بالقبول عند الله، جوابنا أم جوابهم؟ إني أترك الحكم في ذلك للمنصفين.

جواب أهم الاعتراضات خلاف الأحمدية

لقد عالجتُ حتى الآن وساوسَ عامة الناس الذين ليس لهم أقل إلمام بالأحمدية، بل يريدون أن يختلقوا من عند أنفسهم تعليمًا لها بدون أن يدرسوا عقائدها، أو يعتمدون على ما يسمعونه عنها من خصومها. هذا – وإني أخاطب الآن أولئك الذين قد درسوا الأحمدية بعض الدرس ويعلمون أن الأحمديين يؤمنون بالقرآن الكريم والحديث النبوي ويصلون الصلاة ويصومون رمضان ويحجون البيت ويؤدون الزكاة ويؤمنون بالحشر والنشر والثواب والعقاب، ولكن هؤلاء متحيرون في أن الأحمديين إذا كانوا مسلمين كغيرهم، فما الحاجة إذاً لقيام هذه الفرقة الجديدة. إن هؤلاء المعترضين لا ينتقدون الأحمدية في عقائدها وأعمالها وإنما يأخذون عليها أنها جعلت نفسها فرقة جديدة، وإذ لم يكن ثمة أي فَرق بينها وبين الأمة الإسلامية فَلِمَ هذه التفرقة إذاً؟ وما القصد يا ترى في تأسيس جماعة أخرى حيث لا يوجد اختلاف؟

مفهوم "الجماعة" عند الأحمدية

وإني أجيب على هذا التساؤل من وجهتين، إحداهما عقلية والأخرى دينية. أما الجواب العقلي فهو أن الجماعة ليست اسمًا للأعداد ولا لمجموعة من الأفراد ولو بلغ عددهم مئات آلاف وآلاف الآلاف وملايين الملايين، بل هي اسم يطلَق على مجموعة أفراد يوجد بينهم اتحاد في الفكر والعمل معاً، أي هي عبارة عن أفراد اتحدوا فكراً ووضعوا نصب أعينهم لائحة عمل وِجهتُها واحدة وأزمعوا على تنفيذها. ويسمى هؤلاء الأفراد جماعة ولو كانوا خمسة أو ستة. وأما إذا فقد الأفراد هذه المزية أي مزيةَ الاتحاد في الفكر والعمل فإنهم لا يُعَدَّون جماعةً ولو بلغ عددهم الملايين. إن رسول الله ﷺ لما قام بدعوته في مكة في بادئ الأمر لم يؤمن به من أهلها سوى أربعة رجال وكان ﷺ خامس خمسة، ومع هذه القلة كانوا جماعة، وأما سكان مكة، وكان عددهم يبلغ نيفاً وعشرة آلاف، فلم يكونوا جماعة، وكذلك أهل الحجاز مع كثرتهم لم يكونوا أيضاً جماعة لأنهم لم يتحدوا بالفكر وما كان لهم نظام يتبعونه أو لائحة عمل يسيرون بموجبها.

ولذا يجب قبل الاعتراض علينا أن ينظر فيما إذا كان المسلمون يشكلون جماعة في زمننا. وهل تعاقَدَ العالم الإسلامي على ميثاق وتعاهَدَ المسلمون أن يعملوا بموجبه في أمورهم متحدين متكاتفين؟ بل هل لهم خطة عمل ما؟ نعم - لا أجهل أن المسلمين يتآسَون في مصائبهم، ويتأثر بعضهم ببعض ولكنهم في هذه المواساة أيضاً هم دون الغاية المطلوبة بمراحل. إذ ليسوا كلهم سواسية في ذلك، فالبعض قلوبهم مفعمة بالآلام، والبعض لا يهمهم شيء من مصيبة القوم. ومما يزيد الحالة سوءاً أنهم ليس لهم نظام يزيلون به اختلافهم ويتداركون به أمرهم. وإني لا أجهل كذلك أن الاختلاف لا تخلو منه هيئة من الهيئات الاجتماعية، وقد يوجد الاختلاف أيضاً في الجماعات حتى التي تكونت في عهد الأنبياء، كما اختلف الأنصار والمهاجرون بعض الأحيان فيما بينهم، وكذلك اختلفت بعض القبائل في العهد النبوي، ولكن هذا الاختلاف قد زال من بينهم بسرعة عندما أصدر الرسول الكريم ﷺ حكمَه فيه. وعلى هذا المنوال كان أمر المسلمين أيامَ الخلفاء الراشدين، فقد كانوا كلما بدا فيهم شيء من الاختلاف بادر الخلفاء إلى استئصال جرثومته بالحكم الحاسم، وبذلك كان يُقضى على الخلاف قبل تفاقُم

شره. ثم ظل المسلمون بعد زوال الخلافة الراشدة تحت لواء حكومة واحدة سبعين عاماً ونيفاً متبعين نظاماً واحداً، كانوا مرتبطين به حيثما كانوا، سواء أكان ذلك النظام سيئاً أم حسناً. ثم دب الاختلاف فيما بينهم وانقسموا إلى شيعتين انحازت إحداهما إلى الأندلس والثانية – وهي السواد الأعظم – اتخذت لها مكاناً آخر. ولكن هذا الاختلاف كان محدوداً جداً وكانت الأكثرية الساحقة من مسلمي أقطار العالم ما برحت سالكةً تحت نظام واحد. ثم اضمحل هذا النظام بعد انقضاء ثلاثة قرون حيث لم يبق إلا التشتت والتفرق ووقع ما كان أنبأنا به أصدق الصادقين ﷺ في قوله: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذبُ"، وصدق ما قال ﷺ.

فقدان الوحدة من بين المسلمين

لقد عَمَّ الاختلاف واندثر الحق من وجه الأرض، فسادت دولُ الظلم والاستبداد، وما برح هذا الفساد يتفاقم حتى أضاع المسلمون شوكتهم كلها في القرون الثلاثة الأخيرة.

أين نحن من ذلك الزمن الذي كان المسلمون فيه مرهوبي الجانب حتى إن أوروبا كلها كانت تخاف كلَّ ملك من

ملوكهم؟ لقد أمسينا اليوم من الضعف الشديد بحيث لم يبق للعالم الإسلامي بأجمعه من الحول ما يستطيع به أن يقاوم ملكا واحداً من ملوك أوروبا. وها هي اليهودية، وقد أسست لها في أرض فلسطين حكومة صغيرة ذات شأن ضئيل، يقاومها الشام والعراق ولبنان وفلسطين ومصر والحجاز بجيوشها وعساكرها، ولكن النتيجة أن امتلك اليهود من الأراضي أكثر مما أقطعته لهم لجنة الأمم المتحدة. نعم - صحيح أن أوروبا وأمريكا تؤازران الحكومة اليهودية ولكن هذا لا يُبطل قضيتنا التي نحن بصددها بل يؤيدها ويثبت ما قلناه آنفاً، وهو أن المسلمين بينما كانت مملكة من ممالكهم عزيزةَ الجانب غالبةً تقهر وحدها أوروبا كلها، أصبحت اليوم دولة واحدة من الدول الغربية أمنَعَ وأقوى جانباً من المسلمين بأجمعهم. إن المسلمين - والحالة هذه - لا تجد لهم جماعة تجمع كلمتهم وتنشئ منهم القوة النافذة الصارمة.

أجل - إن لهم حكومات أكبرها حكومة باكستان التي وُضع أساسها مؤخرًا بفضل الله تعالى، ولكن الإسلام ليس هو اسماً لباكستان ولا لمصر ولا للشام ولا لفارس ولا لأفغانستان ولا للحجاز، وإنما الإسلام هو اسم لرابطة الوحدة الإسلامية، تلك

الوحدة التي كانت موجودة فيما مضى وألّفتْ بين المسلمين وجمعتْ شملهم، وأما الآن فلا يوجد في العالم كله شيء يُعْتَدُّ به ويلم شعث المسلمين.

فقدان الرابطة السياسية بين المسلمين

لا ريب أن باكستان تعطف على جارتها أفغانستان إذا أصابتها مصيبة، وكذلك أفغانستان تبادلها العطف في الملمات، ولكن بالرغم من هذه العواطف المتبادلة بين هاتين المملكتين فإنهما لا تتفقان في أكثر الأمور. إن كلا منهما مستقلة في أمورها الداخلية والخارجية، ومثل ذلك حالة الأفراد أيضاً، فأهل أفغانستان أحرار في بلادهم وكذلك أهل باكستان، لا جامعة هنالك تجمعهم على كلمة وتنظمهم في سلك واحد. ولا غرو أن المسلمين لموجودون اليوم في كل بقعة من بقاع الأرض وأن لهم كذلك حكوماتٍ تدير شؤونهم حتى إن بعضها بفضله تعالى آخذةٌ في سبيل الاستحكام والقوة، ولكن مع هذا كله لا يشكِّلون جماعة واحدة. ولنفرضْ أن باكستان قَوِيَ أسطولها واستولى على بحر الهند كله وتقوَّى جيشها حتى غَدَتْ حكومةُ الهند ترتعد منه، وهَبْ أن حالة باكستان تحسنت وسيطرت

على أسواق العالم كله وفاقت على أمريكا في قوتها، فهل تجدون سوريا وفارس ومصر وفلسطين مستعدةً للاندماج في باكستان؟ كلا! لا يكون ذلك، نعم يمكنها الاعتراف بعظمتها ومشاركتها في الملمات ولكنها لن تنضم تحت لوائها. إن الحالة السياسية للمسلمين اليوم هي - ولا شك - في طريق التحسن بفضل الله، ولكن بالرغم من كل ذلك فإن الشعوب الإسلامية المنتشرة في أرجاء العالم لا تؤلف كتلة واحدة ولا يمكننا أن نسميها باسم الجماعة لانقسامها في سياسات متعددة وتشعُّبِها إلى حكومات ذات مبادئ مختلفة.

فقدان الجماعة بين المسلمين

لقد أضحى المسلمون ولا قوة هناك تضم أصواتَهم إلى نقطة مركزية ولا جامعةَ بينهم، مع أن الإسلام يدعي أنه الدين الشامل لكافة البشر وليس هو اسمًا لمسلمي العرب ولا لمسلمي الشام ولا لمسلمي فارس ولا لمسلمي أفغانستان وغيرها. إن المسلمين في كل بلاد الأرض يجمعهم اسم الإسلام، ولكن لا تتسم منهم بسمة الجماعة الإسلامية إلا تلك الجماعة التي تجمع وتضم جميعَ الشعوب المسلمة بعضها إلى بعض. وما دامت لا

تقوم على ظهر الأرض جماعةٌ هذه صفتها فنحن نبقى مضطرين لأن نقول: إنه ليس للمسلمين من جماعةٌ اليوم وإن كانت لهم حكومات وسياسات.

فقدان النظام الإسلامي بين المسلمين

وكذلك الحال من حيث النظام ولائحة العمل، فإن المسلمين ليس لهم برنامج موحَّد يجمع بين أشتاقم ويوجِّه سيرهم إلى وِجهة واحدة، بل ليس لهم خطة ما في توحيد العمل لا في السياسة ولا في المدنية والعمران ولا في الشؤون الدينية. إن مقاومة المسلمين لأعداء الإسلام منفردين لا تفي بالمرام. وإن ثمة لفرقاً عظيماً وبوناً شاسعاً بين مقاومتهم منفردين ومقاومتهم مجتمعين تحت نظام واحد، بعد دراسة حملات الأعداء ضد الإسلام دراسة وافية شاملة. فالمسلمون لا يشكلون جماعة باعتبار وحدة البرنامج أيضاً.

فإذا قامت جماعة في هذه الظروف الحرجة ولها صفتها الجامعة من حيث الاتحاد في الفكرة والبرنامج وجعلت نصب عينيها هذين المقصدين فلا يصح الاعتراض عليها: لِمَ قامت جماعة جديدة؟ بل ينبغي، والحالة هذه، أن يقال إنه لم تكن ثمة جماعة

فصارت الجماعة الآن. فأقول للأحبة الذين يقولون في أنفسهم: لِمَ شكَّل الأحمديون لأنفسهم جماعة مستقلة، مع أنهم يصلون صلاة المسلمين ويستقبلون قبلتهم ويؤمنون بنفس القرآن والرسول ﷺ، فما هي الضرورة إذاً لتشكيل هذه الجماعة.. إني أقول لأمثالهم أن يفكروا فيما قلت آنفاً، ولينظروا فيما إذا لم يحن الوقت للإسلام لأن تكون له جماعة من جديد؟ وإلى متى يكون الانتظار لتكوينها والظروفُ حرجة جداً؟

تجديد الجامعة الإسلامية بواسطة الأحمدية

إن مصر لعاملةٌ في دائرتها وكذلك فارس وأفغانستان والدول الإسلامية الأخرى كل تعمل في دائرتها، ولكن الفراغ مع ذلك لا يزال باقياً والثلم موجوداً يجب أن نسده ونرأب صدعه. ولأجل تدارُك هذا الخلل قامت الجماعة الإسلامية الأحمدية. إن الأتراك لما قضوا على الخلافة التركية قام بعض علماء مصر بمشروع يهدف إلى إنشاء الخلافة (وذلك بإيعاز من ملِك مصر كما يقول بعض مَن لهم إلمام بخفايا الأمور) وتنصيبِ ملكٍ خليفةً للمسلمين، لكي يتسنى لمصر التفوق على غيرها من البلاد الإسلامية. فقام عرب الحجاز يناهضون المصريين في ذلك

وأخذوا في الدعاية ضد المشروع بأنه من إيحاء الإنكليز، وأنه إذا كان أحد مستحقا للخلافة فهو ملك الحجاز لا غيره.

إن الخلافة من حيث كونها خلافة هي - ولاشك - رابطة الوحدة التي يجتمع كافة المسلمين حولها، ولكنها عند ما خُصَّتْ بملك من الملوك سرعان ما أصبح غيره يرمقها بعين الارتياب وجعل يظن بأن المقصود من الاستئثار بها التدخلُ في شؤون مملكته، وهكذا أُحبط المشروع في بدايته.

بيد أنه لو قام هذا المشروع بين عامة الناس وكان من ورائه العوامل الحادثة من العاطفة الدينية، فما كان ليحول دونه حائل من المنافسة السياسية وإنما يواجهه حوائل المنافسة الحزبية. ولئن نال هذا المشروع التأييدَ من الحكومة المحلية فلا بد أن يبقى محصوراً في حدوده من جراء المشايعة الرسمية والتأييد الحاصل له من قبل الحكومة. وبسبب ما يبعث هذا التأييد من سوء الظن في نفوس الملوك الآخرين فإنهم يكونون متأهبين لمقاومته منعاً من أن يشيع في بلادهم. ولكن إذا كانت المقاومة اجتماعيةَ الصبغة فلا يبقى المشروع منحصراً في وطنه أو مولده، بل يتعداه إلى غيره من البلاد وينتشر في كل مُلك ويتسع نطاقه ويتفرع ويتأصل حتى إنه ليدخل البلادَ الأجنبيّة التي لا شأن فيها

للحكومة الإسلامية وينجح هنالك أيضاً النجاح قدر الإمكان، لأنها لا تخالفه في أول الأمر لعدم وجود المنافسة السياسية.

الأحمدية و السياسة الدولية

إن تاريخ الأحمدية لشاهد على ذلك، فهي لا ترمي إلا إلى توحيد كلمة المسلمين ولا تطلب الملك ولا الحكومة. لذلك كانت الحكومة البريطانية، رغم إلحاقها بالأحمدية بعضَ المصائب، لم تر ضرورة لمصادمتها جهاراً لكونها دينيةَ الصبغة في مشروعها ولأن غايتها بعيدة عن الأغراض السياسية. وإن بعض الأمراء الأفاغنة مع أنهم شددوا علينا في أفغانستان خوفاً من ثورة المشائخ ولكنهم اعتذروا إلينا في اجتماعاتهم الخاصة وتندموا على ما كان منهم من العسف والجور ضد أفراد من جماعتنا. وكذلك ثار علينا عوام الناس في الممالك الإسلامية الأخرى، وخوفاً منهم خالفنا بعض العلماء، وكذلك ألقت الدول في سبيلنا العراقيل، ولكن مع هذا كله لم تر واحدةٌ منها أن الأحمدية تبغي قلب عرشها.

لقد أصابت الدولُ في نظرها هذا، لأن الأحمدية ليس غرضها السياسة وإنما غرضها إصلاح المسلمين في حالتهم الدينية

وتنظيمُهم في سلك واحد، وجمعُهم على كلمة واحدة، ليستطيعوا مقاومة أعداء الإسلام متكاتفين ومتسلحين بأسلحة أخلاقية وروحانية ليس إلا. لقد ذهب الدعاة الأحمديون إلى أمريكا واضعين نصب أعينهم المبدأ نفسه، وقد خالفهم الأمريكان مخالفتهم للآسيويين، ولكنهم لم يخالفوهم باعتبار كون الأحمدية حركة دينية لا يجوز لها أن تدخل بلادهم. وكذلك حذت حكومةُ هولندا في إندونيسيا حذوَ أمريكا، فإنها عندما رأت أن الأحمدية لا تعارضها في سياستها لم تر لزوماً في مجابهتنا علناً وإن كانت تراقبنا خفيةً وضربت صفحاً في بعض الأحيان وأغضت عما أصابنا من الأهالي بسبب العداء. وقد تكون في حيادها هذا محقةً و لم يكن موقفها هذا محل الشكوى منا، لأننا كنا قائمين بالتبشير والدعوة ضد ديانتها المسيحية، فلسنا لنتوقع منها الإشفاقَ علينا والمواساة لنا فيما كان يصيبنا. وبما أننا لم نكن لنصطدم بسياسة الحكومة، لذلك كان من الطبيعي أيضاً أن لا تصطدم بنا.

نجاح الأحمدية في مساعيها التبشيرية

وقد أدى موقفنا هذا في كل مملكة إلى انتشار الأحمدية، وتأسست لنا مراكز في أكثر بلاد الأرض. ففي الهند وباكستان لنا مراكز وأيضاً في أسبانيا – ألمانيا الغربية – سويسرا – إنكلترا – النرويج – السويد – الدنمارك – كندا – الولايات المتحدة الأمريكية – الأمريكا الجنوبية – غانا – سيراليون – نائيجيريا – غامبيا – تترانيه – كينيا – تانجانيكا – سري لنكا – إندونيسيا – فيجي واليابان وغيرها من البلاد. وجملة القول إن الأحمدية قد انتشرت في سائر البلاد – كثيراً أو قليلاً – ولها من أصل السكان أعضاء اعتنقوا مبادئها من صميم أفئدتهم، وكان انضمامهم إلى جماعتنا انضمامًا وثيقاً بلغوا فيه من الإخلاص غايته حتى إنهم نذروا حياتهم لخدمة الإسلام، ومنهم ضابط إنكليزي كرس حياته للدين ويقوم بالتبشير اليوم في إنكلترا، وهو صالح تقي يصلي كما يصلي المسلم، ويبتعد عن الخمر وهو يعمل ويكسب معيشته ويقتصد، ويشيع النشرات ويعقد الاجتماعات التبشيرية، ولا نساعده إلا قليلا، وربما كان أدنى عامل في إنكلترا أكثر منه دخلًا. وكذلك في ألمانيا من اعتنق الأحمدية وانضم إليها، ومن هؤلاء ضابط بلغ من إخلاصه لها أن

ترك بلاده ليأتي إلى باكستان بالرغم من الموانع الكثيرة التي اعترضت سبيله عند مغادرته بلادَه، وكل ذلك ليدرس الإسلام ويتمكن من القيام بنشر الإسلام في البلاد الأجنبية – وقد جاءنا الخبر الآن أنه وصل سويسرا وينتظر هناك التأشيرة على جواز سفره. ومنهم شاب ألماني وهو كاتب مؤلف وله زوجة متعلمة وكلاهما يريد أن يكرس حياته في سبيل الإسلام، وأملنا أنهما يوفَّقان في ذلك عما قريب ويأتيان هنا لتعلم الدين الإسلامي. وقد عزم على مثل ذلك أحد شبان هولندا الأحمديين وصمم على نذر نفسه، وسيعيَّن قريباً داعية للإسلام في بعض المدن هناك.

نجاح الأحمدية في إنشاء "الجماعة"

نعم إن جماعتنا قليل عددها ولا ضير – ولكن علينا أن ننظر هل أصبح هناك بفضل مساعينا جماعة إسلامية هي في حالة التكون والنشوء؟ إنه ليوجد في كل قطر من أقطار العالم أفراد – مهما قل عددهم – قد انضموا إلى جماعتنا ووضعوا الأساس لاتحاد العالم كله بعد أن كانوا ينتمون إلى أحزاب سياسية مختلفة. نعم إن مثل هذا المشروع ينمو بطيئاً في بادئ أمره في

كل حين ولكن يأتي وقت يكتسب فيه قوة عظيمة وينجح في غرس بذرة الاتحاد والوئام في أيام قليلة. ومن البديهي أن القوة السياسية تحتاج في نشوئها إلى جماعات دينية وأخلاقية – ولكل منها مبدؤها وشأنها – ولكن الجماعة الأحمدية تعمل مستقلة متميزة بخصائصها ومنفصلة عن سياسات البلاد، إذ إنها لو تدخلت فيما لا يعنيها لأصابها الخور والضعف وتكاسلت في عملها.

عند الأحمدية وحدها خطةُ عمل

هذا ما قلناه فيما يتعلق بتوحيد الوجهة الفكرية بين المسلمين. وأما من حيث الاتحاد في البرنامج فإنه لا يوجد بين الفرق الإسلامية كلها فرقة لها برنامج موحد إلا جماعتنا الإسلامية الأحمدية. فإنها وحدها آخذة في مقاومة حملات الديانة المسيحية في كل قطر بحسب خطة مدروسة. إن أفريقيا هي أضعف الأقطار على وجه البسيطة اليوم في بعض الاعتبارات وأقواها في بعضها الأُخر. وقد أقبلت عليها المسيحية الآن بجميع قواها وأعلنت نواياها رجالُ السياسة أيضاً، حتى إن حزب العمال في إنكلترا أعلن اليوم أن نجاة أوروبا مدارها على تنظيم أفريقيا

ورقيها، وهي لم تكن من قبل إلا مطمحَ أنظار القسيسين وحزب المحافظين الذي أظهر اهتمامه بها على أثر المبشرين المسيحيين. وكانت أوروبا ترى أن تنظيمها أفريقيا ورقيها لن يفيدها إلا بعد تنصرها. وقد أدركت الأحمدية هذه النوايا منذ أربع وعشرين سنة وبعثت حينذاك دعاتَها، فأسلم فيها ألوف مؤلفة من المسيحيين بفضل الله. وقد أصبحت جماعتنا الأحمدية هناك أقوى جماعة إسلامية اليوم من حيث النظام، وقد أخذ المسيحيون يفرّون من مقابلتها ويعلنون في صحائفهم من وقت لآخر أن الجماعة الأحمدية قد أبطلت بجهودها مساعيَ المبشرين المسيحيين. وإن نفس هذه الخطة التبليغية سائرة على قدم وساق في غربي أفريقيا أيضاً، وإن النتائج فيها وإن لم تكن ذات بال كما هي في شرقي أفريقيا، لأن العمل هنا في بدايته – ومع هذا أخذ المسيحيون يشعرون بمحاسن الإسلام وأسلم عدد منهم، وأملُنا أن تفضي مساعينا هنا أيضاً إلى نتائج عظيمة في بضع سنين. كذلك لنا في إندونيسيا وماليزيا مراكز تبشيرية منذ زمن طويل، ونسعى أن نعضد الفِرقَ المتخاذلة أمام المسيحية ونُقيلها من عثرها ونجمع شتاها ونؤلف منها القوةَ العاملة للدفاع عن حوزة الإسلام وللقيامِ بمقاومة الأعداء عند كل هجوم. ولقد

أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية اليوم من بين الدول المسيحية أنشَطَها سعياً في المشروعات التبشيرية، وإن لنا في تلك البلاد أيضاً دعاةً عاملين منذ أربع وعشرين سنة، وقد اعتنق الإسلام عن طريق الأحمدية عدةُ آلاف من الأمريكان وهم يبذلون أموالا طائلة في تبليغ الإسلام. لا شك أن هذه الأموال ليست بشيء يذكَر إزاء ثروة أمريكا كما وإن جهودنا إزاء جهود القسيسين زهيدة جداً، ولكن المهم هنا هو الشروع في مقابلة القوى المعادية والانتصار عليها بالفعل وذلك ما نحن جادّون في سبيله، وإننا بفضل الله لمنتصرون، إذ نحن الذين انتزعنا من المسيحية رجالها وليست هي بالتي تنتزع منا رجالنا.

ولذلك كله لا ينبغي أن يقال: لماذا أقيمت جماعة جديدة؟ بل يجب أن يقال: إن الأحمدية نجحت في تكوين جماعة من المسلمين رغم تشتتهم و لم تكن هنالك جماعة من قبل. فهل هذا العمل مذموم يؤاخَذ من أجله أم هو محمود يليق بالثناء والاستحسان.

ضرورة تأسيس جماعة مستقلة

ويقول البعض إنه لم يكن ثمة من حاجة لتأسيس جماعة تتميز بحدودها وتتسم باسم خاص يفصلها عن غيرها من الفِرق الإسلامية الأخرى، وكان كافياً نشرُ المبادئ السامية بين المسلمين بصورةٍ عامة بدون هذه التفرقة!

وإني أقول لهؤلاء إن القائد لا يستطيع أن يبعث لمحاربة العدو إلا الذين تجنَّدوا وقبلوا الخدمة العسكرية، ولا يمكنه أن يرسل الذين لم يجنَّدوا بعد. وهكذا إذا لم تكن هناك جماعة فمن هم الذين يمكن لمؤسس الجماعة ولخلفائه من بعده أن يأمروهم ويستخدموهم في مشروعهم؟ أيطوفون بالأزقة والشوارع ثم يقولون لكل مار، تعالَ واذهبْ إلى بلد كذا لأن الإسلام يحتاج إليك لتخدمه هناك، فيجيب بالرد والإنكار، فَيُقْبِلون على الثاني والثالث وهلّم جرا؟ وهل مثل هذا الطريق في التجنيد وتعبئة الجيش ومحاربة العدو يجدي نفعا ويفي بالغرض؟ لا جرم أن كل أمر هام يتطلب قبل كل شيء تنظيما وجماعة، وبغير ذلك لن يتم حتما.

فإن قيل لا بأس في تكوين الجماعة إلا أنه كان ينبغي لنا أن نبقى مختلطين بين المسلمين اختلاط الحابل بالنابل – فهذا أيضاً

مما يبطل الغرض المنشود، وذلك لأن المهام العظام تتطلب التضحية العظمى ولا يتجشم ركوب الصعاب إلا المتفانون المجانين. وهل بإمكان المجانين أن يعاشروا العقلاءَ. إنه لا بد من فصل أولئك عن هؤلاء، وإن العقلاءَ لو جعلوا هؤلاء المجانين مثلهم فمن ذا الذي يبقى للقيام بمثل هذه المهام؟

ثم إن انفصالهم من شأنه أن يبعث في نفوس الآخرين حب الاستطلاع والتحري، وعندما يبحثون لا يكاد يمر وقت غير طويل إلا ويجدون أنفسهم قد وقعوا فريسة لنفس المشروع الذي حاولوا إبطاله من قبل.

إن جميع هذه الاعتراضات ليست صادرة إلا عن قلة التفكير والتروّي. والحق أنهم لو فكّروا في الأمر لأدركوا بمنتهى السهولة أن الطريق الذي سلكته الأحمدية هو عين الصواب، فإنها بانتهاج نفس هذا الطريق قد استطاعت أن تؤلف جماعةً أفرادها ذوو تضحية وإيثار، وهي ما دامت تثابر على خطتها هذه فستظل تزيد من أمثال هؤلاء الأفراد يوماً بعد يوم حتى يقوى الإسلام ويشتد، وعندئذ ينتبه له الكفر ويهاجمه بجميع قواته، ولكن وقت الهجوم يكون قد فات ويتم النصر للإسلام ويندحر الكفر.

نحن لسنا ممن يزاحم المجاهدين السياسيين، وإنما نطلب إليهم أن يواظبوا على عملهم ما داموا لا يفهمون عملنا، كما أننا نطلب منهم أن لا يزاحمونا فيما نحن قائمون به، وليعملْ كلٌّ منا في دائرته. ومَن حبذ طريقتهم فبإمكانه اللحوق بهم ومن أحب طريقتنا فليلحق بنا. إن طريقتهم تدعو لتضحية قليلة وشهرة واسعة، وطريقتنا تدعو لتضحية عظيمة وشهرة طفيفة، فلهم نصيبهم ولنا نصيبنا. فمن كان أشد الضرورات في نظره هو إحياء الإسلام من حيث لبه وحقيقته فسوف ينضم إلينا، وأما من كان يعشق أبهةَ المُلك فينضم إليهم، فلم إذاً نتخاصم ونتقاتل؟ إننا كلنا نتجرع غصصَ الآلام مما حل بأقوامنا من المصائب وإن كل عضو من أعضاء الأمة به أَلَمٌ يحز فيه. فالألم يغشانا وقلوبنا دامية.

سنة الله في الإصلاح

هذا هو جوابي على السؤال المذكور من الوجهة العقلية، والآن أجيب عليه من الوجهة الدينية، وعندي أنها هي الفكرة الصادقة يقيناً، وذلك لأن سنة الله قد جرت منذ القديم بأنه سبحانه يبعث لهداية عباده وإصلاحِ أمورهم مأموراً من لدنه

كلما ظهر الفساد في الأرض وغابت الروحانية عنها وصار الناس يؤثرون الحياة الدنيا على الدين.. يبعثه من لدنه لإرجاع عباده الضالين إليه وليقيم في الأرض دينه الحق من جديد. وإن من هؤلاء المأمورين من يأتي أحياناً بشريعة جديدة ومنهم من يأتي لإقامة الشريعة السابقة. وقد ذكر الله سنته هذه في القرآن المجيد وأكدها تأكيداً، ولَفَتَ إليها أنظار الناس مرة بعد أخرى ليعرفوا رحمته هذه ويقدروها حق قدرها.

نعم، لا ريب بأن الله قد تسامى وتعالى جده وجل شأنه، وليس الإنسان بين يديه سبحانه وتعالى إلا كأصغر الأصاغر وأحقر الحقيرين وأدنى من الحشرات أيضاً، على أنه سبحانه هو كذلك حكيم ولاشك، ولا يخلو فعل من أفعاله من حكمة بالغة وتدبير محكم، ولا يفعل شيئاً عبثاً بدون فائدة، كما ينوّه سبحانه نفسه بذلك في القرآن الكريم بقوله: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ (الدخان: ٣٩).. أي لم نخلق هذا الكون عبثاً وبدون غاية بل جعلنا لِكُلّ شيء غاية، وإن الغاية من خلق الإنسان هي ليحاول التمثل بصفات الله ويكشف عنها ويبديها ويكون مَظْهراً له في الأرض يعرف به ويطلع عليه أهل الدنيا الذين لم تكن تسمو بهم نفوسهم فيعلو

بهم إلى حظيرة القدس. هذه هي سنة الله المستمرة من يوم خلق الخلق إلى يومنا هذا. وقد بعث الله تعالى هؤلاء الذين كانوا مَظْهراً له في عصور مختلفة. فمرة تجلت صفاته تعالى في آدم وطوراً في نوح وتارة في إبراهيم وأخرى في موسى، ويوماً أبان داؤد عن وجهه سبحانه، وحيناً أظهر المسيح أنواره، وأخيراً أرانا محمد ﷺ صفاته ﷻ كاملةً وبأجلى وضوح بالإجمال والتفصيل والجزئيات والكليات والجمال والجلال بحيث تضاءلت أنوار الأنبياء السابقين إزاء شمسه البازغة تضاؤُلَ النجوم أمام شمس النهار. ولقد خُتمت الشرائع بأجمعها بعد شريعته الغراء وانسد طريق الأنبياء المشرِّعين كلهم، انسدادا لا محاباة فيه ولا انحياز للنبي ﷺ، وإنما انسد طريقهم لأنه ﷺ جاء بشريعة وافية بالحاجات كلها وكفيلة بجميع المقتضيات. ولقد تم وكمل ما كان قد جاء من الله سبحانه، وأما الناس فلم يكن هناك ضمان بأنهم لن يضلوا الصراط السوي ولن ينسوا التعليم الحق، بل يقول الله تعالى في القرآن المجيد: ﴿يدبِّر الأمرَ من السماء إلى الأرض ثم يعرُجُ إليه في يوم كان مقداره ألفَ سنة مما تَعدّون﴾ (السجدة: ٦)، ففي هذه الآية تصريح بأنه تعالى سيثبت في الأرض خاتمة الشرائع وآخر الكتب ولن تحول مخالفة الناس دون

مشيئته هذه، ثم يأتي زمان يأخذ فيه هذا الكلام بالصعود إلى السماء ويرتفع عن ظهر الأرض في غضون ألف سنة. وقد قدر رسول الله ﷺ مدةَ بقاء الدين الحق في الأرض ثلاثة قرون كما مر فيما سبق، وكذلك القرآن المجيد أشار إلى هذه المدة في حروف "الـــمـــر" بأنها مائتان وإحدى وسبعون سنة (على ما جاء عنه ﷺ في الأحاديث المذكورة في التفاسير)، فإذا أضفنا إليها الألف سنة أي المدة يعرج الدين في أثنائها إلى السماء لكان المجموع ألفاً ومائتين وإحدى وسبعين سنة، وهو الزمن المقدر على حساب القرآن المجيد، تغيب في أثنائه روحُ الإسلام عن وجه الأرض ويوافق ذلك أواخرَ القرن الثالث عشر حيث (لم يبق من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه...)

التجديد الموعود وزمنه

ألا إن هذا هو الزمان المقدر لبعثة مأمور وهادٍ، كما ورد في القرآن الكريم أن الهادي يبعث عند ظهور الفساد في الأرض، لكيلا يظل أهل الأرض في قبضة الشيطان إلى الأبد، ولكي لا تنمحي من الدنيا حكومة الله الأبدية. لذلك كان ضرورياً أن يأتي من الله مصلح – أيا كان – وكيف لا يأتينا وقد سبقت

سنة الله هذه فيما مضى، إذ تعهد آدمَ حين بدء الفساد في أتباعه فتداركهم برحمته، وكذلك تدارَكَ أتباعَ موسى كلما كانوا يفسدون، وتدارك أتباعَ عيسى عندما ضلوا. فكيف يمكن أن لا يتدارك الله أمةَ سيد الأنبياء وملةَ خير الرسل محمد ﷺ حين ضلالها؟ وكيف لا يرسل مصلحاً وقد عم الفساد وبلغ السيلُ الزبى خصوصاً وقد سبق منه ﷺ وعدُه لأمته بأن الله يبعث لها على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ويصلح حالها عند طروء أدنى فساد.*

نبأُ "موعودٍ" عند فتنة الدجال

وهل يوجد عقل سليم يقبل أن يبعثَ الله المجددين لمعالجة المفاسد الطفيفة حسب وعده المذكور ولا يبعَث منهم أحدًا عند ظهور الفتنة العظمى، تلك الفتنة التي قال عنها رسول الله ﷺ إنه ما من نبي إلا وأنذر منها أمتَه؟ أيقبل العقل السليم أن لا يُبعَث مصلح أو هادٍ أو مأمور ما لمقاومة هذه الفتنة الكبرى؟ وهل يُستبعد أن يرتفع اليوم صوتٌ من عند الله يلم شعث

* راجع قوله ﷺ في سنن أبي داؤد، كتاب الملاحم، وهو أن الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها.

المسلمين ويجمع شملهم ويرجعهم إلى الدين القويم؟ وهل يا ترى لا يُلقَى إليهم حبل ما من السماء لانتشالهم من هوة الدياجير والظلمات؟ كلا! لم تُطمَس آثار رحمة الله تعالى ورأفته بل ازدادت فيوضُها تدفقاً بعد بعثة رسول الله ﷺ. إنه سبحانه ربنا الذي كان ولا يزال رؤوفاً بعباده وما زال يُرينا منذ بدء الخليقة آثارَ رفقه وكرمه. وإنه تعالى إذا كان رحيمًا فيما مضى فينبغي أن يكون للأمة المحمدية أكثَرَ رحمة من ذي قبل. ولا ريب أنه سبحانه لا يزال كذلك ولم يزل يبعث للأمة المحمدية الهداة والمرشدين من لدنه. إنه كتب على نفسه أن يرسل المأمورين عند كل ضرورة - ولا سيما عند انتشار فتنة الدجال وتغلُّب المسيحية وهجر المسلمين لدينهم بتقليدهم الأمم الأخرى في عاداتها وتقاليدها. فينبغي إذاً - والحالة هذه - أن يظهر لرسول الله ﷺ مظهرُه الكامل لتدراك أمته وإصلاحِ الزمن الذي كان أخبرنا عنه ﷺ بأنه لا يبقى فيه من الإسلام إلا اسمه ولا يبقى من القرآن إلا رسمه (مشكاة المصابيح، كتاب العلم)، أي لا يبقى من الدين إلا حروف وألفاظ خالية من روح الإسلام ولبِّه ويصبح القرآن غامضًا بالنسبة للناس فلا تظهر لهم معانيه ولا تتبين حقائقه.

بعثة المسيح الموعود على منهاج النبوة

فيا أحبائي، لقد كان قيام الجماعة الإسلامية الأحمدية حسب سنة الله المستمرة وطبقاً لما أنبأ به الرسول الكريم ﷺ والأنبياء قبله. فإذا كان انتخاب سيدنا أحمد المسيح الموعود لا يناسب هذا الأمر فتَبِعَتُه على الله سبحانه، إذ ما ذنبه هو بأن انتُدِبَ لذلك؟ وإن كان الله هو عالمًا بغيب السماوات والأرض ولا يخفى عليه شيء من أسرار الملكوت، وخبيراً بمكنونات الكون وحكيمًا قد أحكم نظامه وأتقن صنعه ولا يخلو فعله من غاية وحكمة بالغة، فلا مندوحة لنا إذاً من الاعتراف بأن اصطفاءه لأحمد وترشيحه لهذا المنصب كان حقاً وحسب مقتضيات الحال، وأن في الإقرار به خيراً للمسلمين وللعالم بأسره. إن حضرته لم يأتنا برسالة جديدة، وليست دعوته إلا نفس الرسالة التي نادى بها سيدنا رسول الله ﷺ وأهاب بأرباب الدنيا لقبولها، ولكنهم سرعان ما غفلوا عنها وتناسوها، وهي نفس الدعوة التي دعا إليها القرآن فأعرضتْ عنها الدنيا و لم تُقبل عليها.

حقيقة الاستخلاف وغايته المثلى

وهذه الدعوة هي أن الله وحده خالق الكون، ولا إله إلا هو. خلق الإنسان لمحبته والاتصال به وشرفه ليكون مظهراً لصفاته، كما يقول سبحانه في كتابه العزيز: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة: ٣١). والخلافة في هذه الآية إنما تعني أن آدم وذريته هم نواب الله في الأرض وخلفاؤه وقد خُلقوا ليبينوا لأهل الدنيا ما خَفِيَ عليهم وغاب عنهم من صفات الله تعالى، وهذه هي غاية المقصود من خلق الإنسان. فيجب على الناس أن يتصفوا بصفاته تعالى ويكيّفوا بها حياتهم، شأن النائب المندوب الذي يرجع دائماً في جميع واجباته وشؤونه إلى من انتدبه وأنابه عنه، وشأن العبد إزاءَ سيده، ينظر إليه عند كل خطوة جديدة يخطوها. وهكذا يجب على الإنسان أن يتصل بالله اتصالَ العبد مع سيده ليهتدي بهديه ويستضيء بنوره في كل شأن من شؤونه، ويكون الله أحبَّ إليه من كل شيء ويتكل عليه في جميع أعماله.

دعوة المسيح الموعود وغرضها الأسمى

وإن تلك الغاية المثلى هي التي جاء أحمد المسيح الموعود عليه السلام لينفذها في الأرض ويجعل أهل الأرض ليسيروا بمقتضاها لكي يتدينوا بدين واحد وتخضعَ قلوبهم لأحكام الإسلام، فيَتبَوَّأَ رسولهم الكريم محمد ﷺ على عرشه الروحاني مرة ثانية – ذلك العرش الذي انقضّ عليه الشيطانُ بجميع قواته وهاجمه من داخله وخارجه ليتزله عنه وينتزعه من يده. وقد بعث الله حضرتَه للذود عنه وللمحافظة على كيانه، وأول ما بدأ به للوصول إلى غرضه أن لَفَتَ أنظارَ المسلمين إلى أن لا يكتفوا بالقشر دون اللب، وأكّد لهم وألحّ في التأكيد بأن الأحكام لن تجدي نفعًا بغير النظرِ إلى باطنها والسيرِ بمقتضى مغزاها، برغم كون التمسك بظواهرها فرضاً واجباً وله في الشريعة أهمية عظمى. ولكن لا يمكن للإنسان أن يترقى رقياً إلا بعد الخضوع للمقصود من الأحكام والتكيف بروح الإسلام.

شرط أساسي في عهد البيعة

ولم يقتصر حضرته على هذا التأكيد بل وأقام جماعة من المسلمين واشترط عليها عهد البيعة له وأخذ الإقرار من كل

مبايع أنه يؤثر الدينَ على الدنيا، وكأنه بهذا الإقرار قد اطلع على المرض الأصلي الذي كان ينخر في المسلمين نخر السوس، وذلك لأنهم ما زالوا منكبّين على الدنيا مع أن الدنيا كانت أَفْلَتَتْ من أيديهم وأدبرت عنهم، ولم يبق معنى لِرُقي الإسلام عندهم إلا الحصول على المملكة الأرضية فقط، وكان نجاح الإسلام عندهم لا يعني إلا تثقيف المنتمين إلى الإسلام في الظاهر ورواجِ أسواقهم وربح تجاراتهم، مع أن رسول الله ﷺ لم يأتهم لهذا الغرض ولا لأن يقتصر الناس على تسمية أنفسهم باسم الإسلام فقط، وإنما جاءهم ليجعلهم مسلمين حقاً بالصفة التي بينها الله في قوله {من أسلم وجهه لله...} (البقرة: ١١٣)، أي أن المسلم هو الذي يكرّس حياته كلها لله ويجعل جميع حوائجه الدنيوية تابعة لحوائجه الدينية.

أهمية عهد البيعة وتأثيره

ولعل عهد البيعة هذا يُرَى تافهاً حسب الظاهر، ولكنه في الحقيقة هو الفارق الوحيد بين الإسلام وبين غيره من الأديان. إن الإسلام لا يقول بأن لا تطلبوا العلم، ولا تتّجروا ولا تتخذوا الحِرَف والصنائع، ولا يقول لا تسعوا لتوطيد مملكتكم، كلا -

لا يمنعكم من الكسب والاستمتاع بمرافق الحياة، وإنما يريد من الإنسان أن يصحّح في كل هذا زاويةَ النظر ليس إلا. وذلك لأن الأعمال كلها لها زاويتان من جهة النظر، إحداهما الحصول على اللب من القشر، والثانية الحصول على القشر من اللب. فمن ابتغى الحصول على القشر من اللب فليس من الضروري أن ينجح في بغيته، بل كثيراً ما يخفق فيها، ولكن الذي يظفر باللب فإنه يحصل على القشر أيضاً. لقد كانت جهود رسول الله ﷺ وأتباعِه منصرفةً نحو الدين، فلم يُحرَموا من نعيم الدنيا، وكان من الطبيعي أن تنساق الدنيا مسرعةً وراء أولئك الذين يحظَون بالدين. ولكن الحصول على الدنيا ليس من لوازمه الحصول على الدين، بل قد يضيع أحياناً ما في يد الإنسان من الدين. فمن أجل ذلك أخذ حضرة المسيح الموعود عليه السلام من أتباعه عهدًا بإيثار الدين على الدنيا وأكد عليهم في شأنه غاية التأكيد بأمر الله تعالى، متبعاً في ذلك سنة الأنبياء. وعندما بُعث حضرته وُجد بين المسلمين حركتان: إحداهما يرمون فيها إلى السعي لإنشاء القوة المادية لإصلاح دنياهم لأنهم ضعفوا فيها، والثانية أنشأها إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية وهي ترمي إلى إحياء العاطفة الدينية في المسلمين قبل كل شيء، ومتى تم ذلك تبعه

بالضرورة إصلاح الحال في كل شيء، وأعطاهم الله دنياهم من تلقاء نفسه.

ضرورة التطابق بين ظاهر الأعمال وباطنها

لقد أخطأ بعض الناس حين ظنوا أن شأنه عليه السلام في مشروعه هذا كشأن المتصوفة و مشائخ الزوايا، فإنهم يبالغون في القيام بالصلاة والصوم، ثم يجعلون الصالحين من الرجال قاعدين في زوايا الاعتكاف كأنهم من ذوات الخدور. ولكن حضرته لو فعل مثلهم لكان، ولا ريب، هو أيضاً قد دعا الناس للحصول على القشر باسم اللب، ولكنه لم يفعل ذلك، بل دعا الناس خلافَ دعوة المتصوفة، إذ مع تأكيده على القيام بأحكام الشريعة زاد في التأكيد لهم بأن الدين إنما يأتي من عند الله ليجلو ذهنَ الإنسان وينير عقلَه ويزيد بصيرته، وإن من يتبع دينه حق الاتباع ولا يتصنع في عمله، ينشئ الدينُ فيه أخلاقاً سامية وقوة عملية، ويبعث في نفسه روحَ الإيثار والتضحية. يقول حضرته: عليكم بالدين. صلّوا وصوموا، وحُجُّوا، وآتوا الزكاة، ولكن صلاة القرآن لا صلاة القيام والقعود الظاهرين فقط، وصومَ القرآن لا صوم الجوع والعطش، فإن القرآن لا يطلب منكم هذا

ولا ذاك. وحُجُّوا البيت كما هداكم القرآن، وآتوا الزكاة كما أرشدكم، فإنه تعالى لا يطلب منكم مغادرة الوطن عبثاً، ولا إنفاق أموالكم ضياعاً. يقول القرآن الكريم ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ (العنكبوت: ٤٦)، فليست صلاتكم صلاةَ القرآن إن لم تنهَكم عن الفحشاء والمنكر. ويقول القرآن في الصوم ﴿لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٨٤)، فإن صمتم ولم تتقُوا، ولا تخلقتم بالأخلاق الفاضلة، ثبت أن نيتكم ليست بصالحة ولستم بصائمين، وليس لله حاجةٌ في أن تجوعوا. ويقول في الحج إنه وسيلة من وسائل منع الرفث والفسوق والجدال، ودفعِ خواطر البغي والعصيان، وإزالةِ نوازع الجدل والخصام. ويقول في الزكاة ﴿خُذْ من أموالهم صدقةً تطهّرُهم وتزكّيهم بها﴾ (التوبة: ١٠٤)، أي إنها فُرضت تزكيةً للفرد والجماعة تطهيراً للقلب والأفكار، فإذا لم تحصُلْ هذه الآثار الصالحاتُ كان الحج نفاقاً والزكاة رياء. فصلُّوا وصوموا، وحُجُّوا البيت، وآتوا الزكاة، ولكن بشرط أن يُعطي كلٌّ ذلك ثمراته، بمعنى أن تكون النتيجة أن تتجنبوا الفحشاءَ والمنكر وتنشأ تقوى الله في نفوسكم، وتبتعدوا عن الرفث والفسوق والجدال كل الابتعاد، فتزكَّى الأفراد والجماعات، وتتطهر القلوب والأفكار. فإذا

حصل هذا المقصود عُرف حينئذ أنكم ممن يصلي ويصوم ويحج ويزكي في الحقيقة. ومن لم ينشأ فيه الأثرُ المقصود لا أعده من جماعتي لأنه رضي بالقشر وما آثر الغاية من عمله.

وهكذا أكد حضرته في الأخذ بروح الإسلام وجوهره في سائر العبادات وقال في حقه: ما من حكم من أحكام الشرع إلا وفيه حكمة بالغة سامية يجب أن لا تغيب عن البال وقت العمل. وبما أن الله سبحانه وتعالى لا يُدرَك بالأبصار ولكن يدرَك بالقلب، كما وأنه لا يلمَس بالأيدي ولكنه يلمَس بالمحبة، لذلك لم تكن الغاية من الدين أن يقتصر في الحكم على العين واليد، بل يجب أن يحكم على القلب أيضاً، لأنه لا يأمر العينَ واليد بشيء إلا ويقصد به تطهيرَ القلب وتزكية العواطف، لكي ينشأ في النفس ما يلزم للإنسان من القوى الروحانية التي بها يتسنى له أن يرى اللهَ سبحانه ويلمَسه ويسمَع صوته.

سبب نجاح أحمد المسيح الموعود (عليه السلام)

ولا شك أن أحمد المسيح الموعود عليه السلام فتح بهذا طريقاً جديدا لرقي الإسلام، وكانت نتيجة سعيه هذا ذلك أن قامت فئةٌ لنصر الإسلام. إنها كانت قليلة العدد، ولكنها تجمع في ذاتها

صفة الجماعة، وتؤثر الدين على الدنيا، وأخذت تقدم كل نوع من الضحايا لإعلاء كلمة الإسلام لكي يشاد صرح المملكة الروحانية، مملكةِ محمد رسول الله ﷺ.

ألا فكِّروا مليًّا! وانظروا إلى الفَرق بين هذه الفئة القليلة وبين الجم الغفير من المسلمين. إنها على قلتها قائمة في سبيل إشاعة الإسلام وإعلاء كلمته بعمل مجيد لم يستطيع نصفَه ولا رُبعَه سائرُ المسلمين، وهم - كما تعلمون - بالنسبة إليها أضعاف مضاعفة. فكيف، يا ترى، كان هذا الانقلاب؟ إن هذا الانقلاب ما كان ليحدث لو لم يلح إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية على أتباعه بأن يقّدموا الدين على دنياهم. وعندئذ تجلت لهم الحقيقة وبانت لهم محجة الطريق القويم، فأصبحت أعمالهم غير الأعمال التي كانوا عليها. فالأحمدي المخلص لا يصلي كصلاة العامي وإن كانت صلاته تشبه صلاة العامي في شكلها، إذ هي نفس الصلاة في صورتها وكلماتها، ولكنها تختلف عن صلاة عامة المسلمين في جوهرها، وذلك لأن الأحمدي يصلي وهو يريد الصلاة الحقيقية أي زيادة القرب من الله.

عقيدة الأحمدية في الوحي

وربما يقال هنا: أليس جميع الناس يصلون بغية التقرب إلى الله؟ فأقول في الجواب: كلا، إنهم لا يصلون الصلاة المطلوبة. لأنكم لو أمعَنتُم النظر لرأيتم أن المسلمين قد أصبحوا اليوم - ويا للأسف - يظنون بأن لا سبيل إلى الاتصال بالله مباشرة، وليس بإمكانهم أن يستجاب لهم. وقد سرى هذا الظن الخاطئ بين عامة المسلمين منذ أكثر من قرن، وصاروا ينكرون نزولَ الوحي، واعتقدوا أن بابه مسدود ولم يَعُدِ الله يكلم أحداً من عباده. بيد أنه كان يوجد قبل ذلك بين المسلمين من يعتقد بأن الله لا يزال يكلم عباده، وأن باب وحيه مفتوح للأبد، وفضلًا عن ذلك كانوا أنفسهم يعلنون بأن الله سبحانه يكلمهم. ولكن الفتنة نزلت بالمسلمين منذ قرن، وأصيبوا بعاهة في اعتقادهم ذلك، إذ أنكروا الوحي بتاتاً وزعموا انقطاعَه، حتى إن بعض المشايخ قد أفرطوا في هذا الإنكار، حيث أفتَوا بتكفير من اعتقد باستمرار الوحي. ولقد كان القوم على هذه الحال وإذا بالمسيح الموعود عليه السلام يفاجئهم بدعواه، ويقول إن الله يوحي إليه ويكلمه. ولم يقتصر حضرته على ذلك، بل قال إنه سبحانه سيكلّم من اتبعه واقتدى به وعَمِلَ بتعليمه واهتدى بهديه. ولقد

عرض على العالم كله مرةً بعد أخرى ما كان يوحَى إليه من كلام ربه، وأشهد جميع الناس على ذلك وحثّ أتباعَه على السعي والجد لكي يتمتعوا بمثل ما تمتع هو به من نعمة الله وفضله، وقال لهم: إن المسلم يبتهل إلى الله في صلاتَه خمسَ مرات في يوم بقوله ﴿اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم﴾، ويلتمس منه سبحانه وتعالى أن يهديه الصراط القويم ويُنعمَ عليه كما أنعم من قبل على أنبيائه الكرام، فكيف يمكن أن يذهب ابتهاله ودعاؤه هذا سُدًى، وكيف يمكن ألا يُفتَح لأحد من المسلمين الباب كما فُتح للأنبياء السابقين، ولا يكلِّمَ الله فرداً من الأمة الإسلامية مثلما كلمّ الأولين؟ كلا – لا يمكن أن تذهب دعواتنا كلها هباء.

آثار الإحياء الروحاني في جماعتنا

لقد أحيا حضرته بهذا التعليم الأملَ الجديد في النفوس اليائسة وأزال عن القلوب غيهبةَ اليأس والجمود، فأصبح المسلمون الأحمديون بفضل إحيائه يصلون الصلاة بمغزاها. ولا أقول إنهم جميعاً في ذلك على ما يرام، غير أنني على ثقة مما أقول وهو أن المخلصين منهم – وهم الذين قد أدركوا قصدَ إمامهم –

يصلون الصلاة كأنهم حضروا عند الله بغيةَ الحصول على شيء منه، ويريدون أن يجدّدوا بها مع مولاهم رابطةَ الولاء. ولا يصلون الصلاة كأنها دين يؤدونه. إن الصلاة إذا كانت على الصبغة المذكورة فشتان ما بينها وبين الصلاة التي يصليها الإنسان وهو لا يريد الصلاة، إذ يصرف النظرَ عن مغزاها، ولا يخفى أن هاتين الصلاتين لا تتساويان.

مناشدة الهداية من الله رأساً

هذا وقد اهتم حضرة المسيح الموعود عليه السلام غايةَ الاهتمام بما يجب أن يكون بين الله وبين عبده من متانة الصلات وشدة الولاء، إذ كان له مع الله صلة عظمى، فناشد الناسَ لذلك وقال لهم: إن الله أعطاني كثيراً من البراهين والبيانات تصديقاً لدعواي، وإني لا أطالبكم بأن تتأملوا وتفكروا فيها، إذ لعلكم لا تجدون فرصة للتفكير، أو لا ترون حاجة لذلك، أو ربما ظننتم أن العقل قد يخطئ ولا يسعف الإنسانَ في الحكم بصحة تلك البراهين. فإذا كان الأمر كذلك فإني أدلكم على طريق هو أسهل وأيسر من ذاك الطريق، وهو أن تدعوا الله وتسترشدوه فيما قلتُ وادعيت، واسألوه لأن يهديكم إن كنت صادقاً، أو

يصرفكم عني إن كنت كاذباً. فإذا فعلتم ذلك فلا بد أن ينار طريق الهدَى ويَظهر صدقي لمن دعا الله تعالى بضعة أيام بصدق طوية وبغير تعصب. وقد جرّب ذلك بالفعل مئاتٌ وألوف من الناس، فأبصروا بنور الله واهتدوا. فما أعظَمَ ذلك من برهان! وذلك لأن الله سبحانه لا يخطئ في هدايته، وأما الإنسان فقد يخطئ في عقله ورأيه. وما أعظَمَ ثقةَ المسيح الموعود عليه السلام بصدقه وما أشدَّ يقينَه بالله إذ عَرَضَ على الناس هذه الطريقة الفريدة لمعرفة صدقه من كذبه. أرأيتم هل يجسر الكاذب المفتري هذه الجسارة فيقول للناس: هلموا اسألوا الله عني؟ أم هل يستطيع الكاذب أن يحكِّم اللهَ هكذا موقناً أنه تعالى سيصدر الحكم له وليس ضده؟ كلا! لا يستطيع من ليس من الله أن يقبل مثلَ هذا التحكيم، لأنه يستأصل بذلك شأفته بيده، ويستصدر الحكمَ على نفسه. لكن المسيح الموعود عليه السلام كان يعرض هذا التحكيم على الناس دائماً، وقال لهم إنه جاءهم بألوف من الدلائل والبينات، فان كانوا لا يطمئنون بها فعليهم ألاّ يسمعوا لما يقول هو ولا لما يقول خصومه، بل عليهم أن يُقبلوا على الله سبحانه متضرعين ويسألوه عنه أصادق هو أم كاذب؟ فإن أخبرهم الله بأنه كاذب فهو كاذب ولا شك، وإن

قال الله بأنه صادق فلا يبقى بعد شهادة الله إلا التصديق بما قال، إذ ما معنى التمادي بعد ذلك في الإنكار؟

فيا أحبائي، كم هو سهل وصواب هذا الطريق - أي طريق التحكيم المذكور؟ لقد استفاد به الألوف ويمكن أن يستفيد به كلُّ مَن قَبِلَه وأخذ به. وإن حضرته لم يختر هذا الطريق إلا لأنه كان يعلم ويوقن أن الدين يجب أن يؤثِّر على الدنيا في كل شيء. يقول حضرته إن الله قد أعطانا العيون لنرى بها الأشياء المادية، والعقلَ لنفهم به الماديات، وأعطانا الشمسَ والقمر والنجوم لنشاهد الكون المادي، أفلا يُسعفنا الخالق إذاً فيما نحن في حاجة إليه لإدراك الأمور الروحانية؟ إنه يكشف لا محالة الطريق لمن أراد المعرفة في العلوم الروحانية ويهديه سواء السبيل. يقول تعالى في كتابه العزيز ﴿والذين جاهَدوا فينا لنَهْدِيَنَّهم سبلَنا ﴾ (العنكبوت: ٧٠)، أي أن من أراد لقاء الله وسعى سعيه لذلك، فلا بد أن يوفَّق فيه.

الحياة القدسية والسبيل إليها

وزبدة القول إن حضرة المسيح الموعود عليه السلام فتح لمن قبلوه ومَن لم يقبلوه طريقاً واحداً، وهو إيثار الدين على الدنيا. ولا

ريب أن لنا إلها واحداً هو الحي القيوم، يدبر الكونَ – المادي والروحاني على السواء – فيجب على كل مؤمن أن يزيد به تعلقاً لأقصى حدٍّ ممكن، ويقترب منه اقتراباً متواصلا، والذي لم يتبين له الهدى ولا يزال في غمة من أمره، فعليه أن يلتمس من الله النورَ، ولا يألُوَ جهداً في الاستمداد منه للوصول إلى حقيقة الأمر. إن الغاية الكبرى والمقصود الوحيد من بعثة المسيح الموعود هو إصلاح العالم لا غير، وإن حضرته لم يأت إلا ليرجع بالإنسان إلى خالقه، ويبث في النفوس اليائسة اليقينَ بلقائه، والاستئناسَ بالحياة القدسية التي استأنس بها الناس وحَظُوا بها في زمن موسى وعيسى وفي زمن الأنبياء الآخرين عليهم السلام. ألا! فاقرءوا الكتب القديمة وتصفَّحوا تاريخ أسلافكم: هل كانت حياتهم حياة مادية؟ أم هل نجحت أعمالهم يوماً ما بالتدبير المادي فقط؟ أفلم يكونوا، يا ترى، توّاقين قَلقِين لمحبة الله ليلَ نهارَ؟ بلى! ولقد كان المفلحون منهم يوهَبون آياتِ الله ويعطَون الخوارقَ والمعجزات، وكانت سيرتهم تلك هي السبب الوحيد بأن فاقوا الناس جميعاً وامتازوا عنهم بالفرقان المبين. فما هو الشيء الذي يمتاز به المسلمون اليوم عن اليهود والنصارى أو عن الأمم الأخرى؟ وإذا لم يكن هنالك فارق يمتازون به عن

غيرهم، فماذا يُغني عنهم هذا الإسلامُ؟ وما هي قيمة غبطتِهم به؟ وهل لهم من حاجة إلى مثله؟ لا ريب أن الفرقان قد كان موجودًا، وبه كانوا يمتازون على غيرهم عندما كانوا مسلمين، ولكنهم اليوم - ويا للأسف - جعلوا الإسلام نسيًا منسيًّا، ونسُوا ذلك الفرقانَ المبين، أي الإيمانَ بأنه يمكن به لقاء الله والاتصالُ به مباشرةً لكل من أراد وسعى لذلك، وأن وحيه تعالى مفتوح بابه دائماً أبداً لمن قرعه وقصده. وهذا هو المراد من أن رسول الله ﷺ فيوضه جارية إلى يوم القيامة، ولا يعني ذلك أن الإنسان بإمكانه الحصولُ على شهادة البكالوريا أو على ما فوقها، إذ هل لا يحصل المسيحي على ورقة الشهادة مثلها؟ ولا يعني ذاك أيضاً أن بالإمكان نجاحنا في إقامة معمل أو مصنع كبير، إذ هل لا ينجح اليهودي والمسيحي وسائر الناس في مثل ذلك؟ كلا! لا يعني الاعتقاد باستمرار فيوضه ﷺ افتتاحَنا مجمعا تجاريا عظيماً، وتوطيدَنا علاقاتٍ تجارية مع البلاد النائية، إذ إن جميع الناس يفعلون ذلك. كلا - لا يعني هذا الاعتقاد إلا التشرف بلقاء الله مباشرة بحيث ينار قلب الإنسان ببركة إطاعة الرسول الكريم ﷺ، فيَرَى الله وتكون روحه مع خالقه على وفاق حتى يسمع كلامه العَذْب، ويتجلى الله عليه

بصفاته وآياته تجلياً متكرراً. هذه هي النعمة التي يتمتع بها الإنسان بواسطة الرسول الكريم ﷺ، ولن يحظى بها أحد في الدنيا مطلقاً بدون اتباعه ﷺ، وهي المتاع الوحيد الذي يمتاز به أتباعه عن الأمم الأخرى، وإلى ذلك المتاع لَفَتَ المسيح الموعود عليه السلام أنظارَهم، وعرضه كذلك على مكذّبيه وقال لهم:

ها هي تلك اللؤلؤة المضاعة، فقد أعطانيها الله ووهب لي ذلك المتاع المفقود. وما كنت لأجده لو لم أكن من أتباعه ﷺ وشملتني عنايته. وما كنت لأبلغ مقامي هذا لو لا فيضانه الجاري. فهو الذي أوصلني إليه وأنالني مناي.

غرض الأحمدية وغايتها

فهذا هو المقصد الأسمى الذي بُعث لأجله المسيح الموعود عليه السلام، وكان الغرضُ الوحيد الذي كان حضرته يدعو الناس دوماً إليه هو تقديمَ الدين على الدنيا وجعل الروحانية غالبة على المادية.

ولا يخامرنّ أحداً الظنُّ أن حضرته لم يكن له عمل غير هذا. فلقد قام حضرته بأعمال أخرى أيضاً ليست بأقل أهمية، إلا أنها تُعَدُّ ثانويةً بالنسبة إلى الغاية المنشودة، التي لن يتغلب الإسلام

بدونها على الأديان الأخرى. وسيأتي ذلك الوقت الذي ندافع فيه عن بلادنا بالأسلحة كالبنادق والمدافع، وكذلك سنتغلب على بعض أعدائنا بالوسائل المادية أيضاً، ولكن لن نتغلب على الدنيا كلها إلا إذ سلكنا الجادة الروحانية التي وجهنا إليها حضرته. إن المسلم إذا أصبح مسلماً حقيقة، وأخذ يؤثر الدين على الدنيا، وجعل المبادئ الروحانية أوَّل همه، فحينئذ تنطمس حياة الفجور من تلقاء ذاتها، تلك الحياة الاستهتارية التي راجت سوقها في بلادنا اليوم بنحوسة الأقوام الغربية، فتمحَى ولا يبقى لها من أثر. إن الإنسان ليعاف هذه الحياةَ الفاجرة بطبيعته، ويكره بفطرته كلَّ لاغية كرهًا من دون أن يقدم له النصحَ أحد، ويريد أن يعيش عيشة هادئة، ويكون لسانه حلوا بحلاوة الإيمان، حتى إذا تكلم أبلَغَ وأَثَّرَ فينصبغ جارُه بصبغته، وينساق معه، ويستأنس به الجميعُ سواء النصارى أو اليهود أو غيرهم، ويتمنون كما قالت قريش: لو كانوا مسلمين! وهم إنما يتمنون ذلك قولًا يستدرج بهم حالًا بعد حال حتى يصير عملا، فإذا بهم جميعاً يُسلمون كما أسلم أهل مكة من قبل. لأن الإنسان مهما ابتعد عن الخير، فلا يسعه ذلك طويلا، ولا بد أن يُقبل عليه يوماً - عاجلا أو آجلا، فهو يميل إليه أولا ثم يرغب فيه، ثم

يتملكه الحرص ويترع إليه، وهكذا يُستدرج شيئاً فشيئاً حتى ينجذب إلى الخير بكليته. و لم يزل هذا دأب الناس ودينهم وكذلك سيفعلون الآن. إن الإسلام ليتمكن في قلوب المسلمين أولا، ثم يسري أثره في جوارحهم ويعمل علمه الصالح فيصبحون للناس مثالًا للتقوى والصلاح ولا يَمضي وقت طويل حتى يقلدهم الناس من تلقاء أنفسهم، ويتأسَّون بأسوة الكاملين منهم، ويدخلون في دين الله أفواجاً، فتمتلئ الأرض بالمسلمين، ويهنأ بالإسلام العالَمُ كله ويزدهر.

فيا أحبائي، إن هذه هي غاية الأحمدية وغرضها. ولقد أجملت في البيان إجمالا، ولا أستطيع معالجة الموضوع من جميع نواحيه، إذ لا يمكنني في مثل هذه العجالة أن أبحث كل جزئياته مفصَّلا مدعَّما بالدلائل والبراهين. على أنني ألتمس منكم أن تمعنوا النظر فيما قدمت إليكم، وتراجعوا أنفسكم فيما إذا كانت المشروعات الدينية تنجح في مقاصدها بالوسائل المادية وحدها! كلا، إنها لم تنجح يوماً من الأيام إلا بإصلاح النفس وبالتبليغ والتضحية. والشيء الذي لم يكن في عهد آدم ولا من بعده إلى عهدنا هذا فلن يكون اليوم. وإن الوسيلة التي كانت بها دعوة الله في الأرض دائماً أبداً ستنتشر بها كذلك اليوم دعوةُ محمد

رسول الله ﷺ على نفس المنوال. ألا! فأَشفِقوا على أنفسكم، وأَشفِقوا على ذريتكم وعائلتكم، وأَشفِقوا على أسرتكم وأمتكم، وأَشفِقوا على وطنكم! وإني أناشدكم بصلات المحبة والحنان أَنِ اسمعوا دعوة الله وفكِّروا فيها مليًّا، عسى أن تفتح لكم أبواب رحمته سريعاً، ويسرع الإسلام في نهوضه وتقدمه. إن ما يجب علينا عمله في سبيله هو كثير جداً، لأن دين الله لا يعتمد في انتشاره وغلبته على المساعدات الإلهية والمعجزات فقط، بل ويتطلب جهودَنا كذلك، ونحن لتلك الجهود بانتظاركم، فهلموا! تعالَوا! عاضِدونا لنحمل جميعاً تلك الأعباءَ المثقلاتِ التي لا بد من حملها لإعلاء كلمة الإسلام، ولا بد من التضحية والإيثار ومِن تحمُّلِ أنواع الإيذاء والتعذيب، ولا بد من تذوق أنواع المرارة وحتى من قبول الموت في سبيله - ولكن هذا الموت هو الذي يمنح الحياة الحقيقية، ولن يصل أحد إلى الله بدون قبوله، ولن يغلب الإسلام إلا به. فهُبُّوا واستعِدُّوا له واجعلوا الكأسَ على فمكم، فلعل في موتنا وموتكم حياةَ الإسلام، وعسى أن يعود دينُ سيدنا محمد ﷺ إلى الازدهار، ولعلنا بقبول هذا الموت نحظَى بالحياة الأبدية في أعطاف إلهنا المحبوب. اللّهم آمين.

شروط المبايعة

للانضمام إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية

معرَّباً من كلام أحمد المسيح الموعود عليه السلام

أولاً: أن يعاهد المبايع بصدق القلب على أن يتجنب الشركَ حتى الممات.

ثانيًا: أن يجتنبَ قولَ الزور، ولا يقرَب الزنى وخيانةَ الأعين، ويتنكب جميعَ طرق الفسق والفجور والظلم والخيانة والبغي والفساد؛ وألا يَدَعَ الثوائرَ النفسانية تغلبه مهما كان الداعي إليها قويًّا وهامًّا.

ثالثًا: أن يواظب على إقامة الصلوات الخمس بلا انقطاع تبعًا لأوامر الله ورسوله، وأن يداوم جهدَ المستطاع على أداء صلاة التهجد، والصلاةِ على النبي ﷺ، والاستغفارِ وطلبِ العفو من ربه على ذنوبه كل يوم؛ وأن يذكُرَ نعمَ الله ومِنَنَه بخلوص القلب كل يوم، ثم يتخذ مِن حمده وشكره عليها وِردًا له.

رابعًا: ألا يؤذيَ، بغير حق، أحدًا من خلق الله عمومًا والمسلمين خصوصًا من جراء ثوائر النَّفْس.. لا بيده ولا بلسانه ولا بأي طريق آخر.

خامسًا: أن يكون وفيًّا لله تعالى وراضيًا بقضائه في جميع الأحوال: حالةِ التَرَح والفَرَح، والعسرِ واليسر، والضنكِ والنعم؛ وأن يكون مستعدًّا لقبول كل ذلة وأذى في سبيله تعالى، وألا يُعرِضَ عنه سبحانه وتعالى عند حلول مصيبة، بل يمشي إليه قُدُمًا.

سادسًا: أن يكُفَّ عن اتِّباع التقاليد الفارغة والأهواء النفسانية والأماني الكاذبة، ويقبَلَ حكومةَ القرآن المجيد على نفسه بكل معنى الكلمة، ويتخذَ قولَ الله وقولَ الرسول دستورًا لعمله في جميع مناهج حياته.

سابعًا: أن يُطلّق الكبرَ والزهو طلاقًا باتًّا، ويقضيَ أيامَ حياته بالتواضع والانكسار ودَماثة الأخلاق والحلم والرِّفق.

ثامنًا: أن يكونَ الدِّينُ وعزُّه ومواساةُ الإسلام أعزَّ عليه من نفسه وماله وأولاده ومن كل ما هو عزيز عليه.

تاسعًا: أن يظلّ مشغولاً في مواساة خَلْق الله عامةً لوجه الله تعالى خالصةً، وأن ينفع أبناءَ جنسه قدر المستطاع بكلِّ ما رزَقه الله من القوى والنعم.

عاشرًا: أن يعقِدَ مع هذا العبد عهدَ الأخوة خالصًا لوجه الله.. على أن يطيعني في كل ما آمره به من المعروف، ثم لا يحيد عنه ولا ينكُثه حتى الممات، ويكون في هذا العقد بصورة لا تعدلها العلاقاتُ الدنيوية.. سواء كانت علاقات قرابةٍ أو صداقةٍ أو خدمةٍ. *

* راجع إعلان "تكميل التبليغ" المنشور في ١٢ يناير (كانون الثاني) سنة ١٨٨٩م، مجموعة الإعلانات ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠

قصيدة

في مدح سيّدنا ومولانا محمد خاتم النبيين ﷺ

مِن نظم أحمد المسيح الموعود عليه السلام

يـــا عينَ فيضِ الله والعـــرفانِ — يَسعَى إليكَ الخَلقُ كالظَّمآنِ
يا بحرَ فضـــلِ المـــنعِمِ المـــنّانِ — تَهوِي إليك الزُّمْـــرُ بالكِيزانِ
يا شمسَ مُلكِ الحـــسن والإحسانِ — نـــوَّرتَ وجهَ البَرِّ والعُمْرانِ
قومٌ رأَوك وأمّـــةٌ قـــد أُخبـــرتْ — مِن ذلك البدرِ الذي أصباني
يـــبكُون من ذِكرِ الجمال صبابةً — وتألُّمًا من لوعـــةِ الهِـــجرانِ
وأرى القلوبَ لدى الحناجرِ كُربةً — وأرى الغروبَ تُسيلها العينانِ
يا من غـــدا في نـــوره وضِيائـــهِ — كالنَّـــيِّـــرَين ونـــوَّر المَلَوانِ
يا بـــدرَنا يـــا آيةَ الرحـــمنِ — أَهدَى الهُداةِ وأشجَعَ الشُّجعانِ
إنـــي أرَى في وجهكَ الْمـــتهلِّلِ — شأنًا يفوقُ شمائـــلَ الإنسانِ

وقدِ اقتفاك أولو النُّهَى وبصدقِهم   وَدَعُوا تذكُّـــرَ معهدِ الأوطانِ
قـــد آثروك وفارَقوا أحـــبابَهم   وتباعَدوا من حلقـــةِ الإخوانِ
قد ودَّعوا أهواءَهم ونفوسَهـــم   وتبرَّؤوا من كلِّ نَشْبٍ فــانِ
ظـــهَرتْ عليهم بيِّناتُ رسولهم   فتَمزّقَ الأهواءُ كالأوثــــانِ
في وقت تَرويقِ اللّيالي نُـــوِّروا   واللهُ نجّاهم مـــن الطـــوفانِ
قد هاضَهم ظلمُ الأناس وضَيمُهم   فــتَـــثـــبَّتوا بعِناية المــنّانِ
نَهَب اللِّـــئامُ نشوبَهم وعَقارَهم   فتَهـــلَّـــلوا بجواهـــر الفُرقانِ
كسَحوا بيوتَ نفوسِهم وتَبادَروا   لِتمتُّعِ الإيـــقانِ والإيـــمـــانِ
قاموا بإقـــدامِ الرسولِ بغَـــزوهم   كالعاشق المشغوفِ في الميـــدانِ
فدَمُ الرّجالِ لِصدقِهم في حُبِّهـــم   تحتَ السيوف أُريقَ كالقربانِ
جاءوك منـــهوبين كالـــعـــريانِ   فستَرتَـــهم بِمَلاحِف الإيمانِ
صـــادَفـــتَهم قومًا كرَوثٍ ذِلّـــةً   فجـــعلتَهم كسَبيكةِ العِقْيانِ
حتى انْـــثنَى بَـــرٌّ كمثل حديقةٍ   عَذْبِ الموارِد مثمِرِ الأغصانِ

عادت بلادُ العُرْبِ نحوَ نضارةٍ بعد الوَجى والمَحْلِ والخسرانِ
كان الحــجازُ مَغازِلَ الغِــزلانِ فــجعَــلتَهم فانِينَ في الرحمنِ
شيــئانِ كان القومُ عُمْــيًا فيهما حَسْوُ العُقارِ وكثرةُ النّسوانِ
أما النّساء فحُــرِّمتْ إنكاحُــها زوجًا له التّحريمُ في القــرآنِ
وجعلتَ دَسْكَرةَ المُــدامِ مُخرَّبًا وأزلتَ حانتَها مــن البلدانِ
كَمْ شاربٍ بالرَّشْفِ دَنًّا طافِحًا فجــعلتَه في الدِّين كالنَّشْوانِ
كَمْ محدِثٍ مســتنطِقِ العِيدانِ قد صار منك محدَّث الرحمنِ
كَمْ مستهــامٍ لِلرَّشوفِ تعشّــقًا فجذَبتَه جَــذْبًا إلى الفرقانِ
أحييتَ أمواتَ القرون بــجَلوةٍ ماذا يماثلك بــهــذا الشّانِ
ترَكوا الغَبوقَ وبدَّلوا من ذوقــهِ ذوقَ الدّعاءِ بليلةِ الأحــزانِ
كانوا بِــرَنّاتِ الــمَثاني قبلَــها قد أُحصروا في شُحِّها كَالعانِي
قــد كان مَرتَعُهم أغاني دائــمًا طورًا بِغِيدٍ تارةً بــدِنـــانِ
ما كان فكرٌ غيــرَ فكرِ غَواني أو شُربِ راحٍ أو خيالِ جِفانِ

كانوا كمشغوفِ الفسادِ بجهلــِـهم راضِـــين بالأوساخ والأدرانِ
عيبانِ كان شِعارَهم من جهلِهم حُمْقُ الحمارِ ووَثْبةُ السِّرْحانِ
فطلَعتَ يا شمسَ الهدى نُصحًا لهم لتُضيئَهم من وجهِك النّوراني
أُرسلتَ من رَبٍّ كريم محسِـــنٍ في الفتنة الصَّمّاءِ والطُّغيـــانِ
يا لَلفـــتى ما حســـنُه وجمالُـــهُ ريّاه يُصبِي القـــلبَ كالرَّيحانِ
وجهُ المهَيمنِ ظاهرٌ في وجهــهِ وشـــئونُه لـــمَعتْ بهذا الشّانِ
فلِذا يُحَبُّ ويستحِقُّ جمالُــــهُ شَغَفًا به من زمرةِ الأخـــدانِ
سُجُحٌ كريم باذِلٌ خِلُّ الــتُّـــقى خِرْقٌ وفاقَ طوائفَ الفتيـــانِ
فـــاق الـــورَى بكمالِه وجمالِه وجلالِه وجَنانِـــه الرَّيّـــانِ
لا شكّ أنّ محمّدًا خيرُ الـــوَرى رَيْـــقُ الكرامِ ونخبةُ الأعيـــانِ
تـــمّتْ عليه صفاتُ كلِّ مَـــزِيّةٍ خُـــتِمتْ به نَعْماءُ كلِّ زمانِ
واللهِ إن محـــمـــدًا كـــرَدافـــةٍ وبهِ الوصولُ بِسُدّة السّلطانِ
هو فخرُ كلِّ مطهَّرٍ ومـــقـــدَّسٍ وبه يُباهي العسكرُ الرّوحاني

هو خيرُ كلِّ مقــرَّبٍ متقــدِّمٍ والفضلُ بالخيرات لا بزمانِ
والــطَّلُّ قد يبدو أَمامَ الــوابلِ فالطَّلُّ طَلٌّ ليــس كالــتَّهْتانِ
بطلٌ وحيدٌ لا تَطيشُ سِهامُــــهُ ذو مصمياتٍ مُوبِقُ الشّيطانِ
هـــو جَنّـــةٌ إني أرى أثمـــارَهُ وقُطوفَه قد ذُلِّلتْ لِــجَـــناني
ألفَيتُـــه بحرَ الحقائق والـــهـــدى ورأيتُه كالدُّرِّ في اللَّمَــعـــانِ
قد ماتَ عيسى مُطرِقًا ونبـــيُّـــنا حيٌّ، وربّي، إنهُ وافانــــي
واللهِ إني قد رأيتُ جمالَــــــهُ بعيـــونِ جسمي قاعدًا بمكاني
ها إنْ تَظنَّـــيتَ ابْنَ مريمَ عائشًا فعليك إثباتًا من الـــــبرهانِ
أفأنت لاقَيتَ المسيحَ بيَقْـــظـــةٍ أو جاءك الأنباءُ مِـــن يَقْظانِ
اُنظُرْ إلى القرآن كيف يـــبـــيِّنُ أفأنت تُعرِض عن هدى الرحمنِ
فاعلَـــمْ بأن العيشَ ليس بثابتٍ بل مات عيسى مثلَ عبدٍ فانِ
ونبيُّنا حيٌّ وإني شـــــاهـــــدٌ وقد اقْتطَفتُ قَطائفَ اللُّقيانِ
ورأيتُ في رَيعانِ عُمْري وجهَـــهُ ثم النبيُّ بِيَقْظـــتي لاقـــانِي

إني لقد أُحيِيتُ مِــن إحــيائه واهًا لإعجازٍ فما أَحْــياني!

يا رَبِّ صَلِّ على نبــيّك دائــمًا في هذه الــدنيا وبعثٍ ثــانِ

يا سيِّدي قد جئتُ بابَك لاهِفًا والقومُ بالإكفــارِ قد آذاني

يَفرِي سهامُك قلبَ كلِّ محاربٍ ويشُــجُّ عَزْمُكَ هامةَ الثّعبانِ

للهِ دَرُّك يا إمــامَ العــالَــمِ أنت السَّبوقُ وسيّدُ الشّجعانِ

اُنظُرْ إليَّ برحمــةٍ وتحــنُّــنٍ يا سيّدي أنا أحقَــرُ الغلمانِ

يا حِبِّ إنك قد دخَلتَ محبّــةً في مُهْجَتِي ومَدارِكي وجَناني

مِن ذِكرِ وجهِك يا حديقةَ بَهجتي لَمْ أَخْلُ في لحــظٍ ولا في آنِ

جسمي يطيرُ إليك مِن شوقٍ عَلا يا ليتَ كانت قوّةُ الطَّــيَرانِ

(مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج٥ ص٥٩٠ -٥٩٤)